فضل دمشق في تطوّر الطبّ
بين العصرين النّوري والمملوكي

د. نشأت الحمارنه

لا بد من تقسيم هذا البحث الى قسمين :

القسم الأول :

يلخص المسائل العامة التي سبق أن بيّنها بعض[1] الباحثين الذين خاضوا غمار المشكلات المتعلقة بتاريخ الطب في بلاد الشام في هذه الحقبة من التاريخ .

وقد اعتمد هؤلاء الباحثون على المصادر المعروفة ، فاكتفى بعضهم[2] بكتاب ابن أبي أصيبعة الشهير (عيون الأنباء ...) اذ لم يتح لهم الاطلاع على غيره ، بينما توسع آخرون مستعملين عدداً من كتب التراجم أو كتب الطبقات أو التاريخ ، وحتى كتب الرحلات[3] .

أما القسم الثاني : فسوف نعرض فيه نتائج الأبحاث المتواضعة التي قمنا بها معتمدين على دراسة المحتوى العلمي لبعض الكتب[4] الطبية التي ظهرت في هذا العصر الذي نحن بصدده .

ونأمل أن تكون في هذه النتائج ما يزيد في معرفتنا عن مستوى الطب في هذه المرحلة من تاريخ بلادنا .

ونظراً لاتساع المادة التي جنيناها فسوف نختار منها بعض الموضوعات

الرئيسة ونعرضها باختصار شديد تاركين الى مناسبات أخرى التوسع في عرضها وخاصة لأصحاب الاختصاص ·

أما الأمثلة التي سنسوقها فسنحاول أن نلتقطها من حقل (طب العيون) توخياً للتجانس ، وسنسعى الى تبسيطها - ما أمكن - ليسهل فهمها على غير المتخصصين ·

★ ★ ★

تهدف هذه المحاولة الى دراسة حالة الطب في بلاد الشام، وكيفية تطوره وذلك في الفترة الزمنية التي تبتدىء بظهور السلطان نور الدين وتنتهي أيام المماليك العظام الذين قاتلوا الفرنجة ودحروا المغول ·

في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العرب عرف العالم دمشق على حقيقتها : مناضلة صامدة صابرة ، تدفع قطعان المغول المتوحشين القادمة من الشرق ، وتقاتل البرابرة الفرنجة الذين احتلوا فلسطين وساحل الشام ، ودمروا الرها وأنطاكية وطرابلس والقدس ·

لقد تألقت دمشق في هذه الحقبة من تاريخها كما لم تتألق من قبل وتوهجت روحها العربية الأصيلة عاصمة للمقاومة العربية وحاضرة إسلامية كبرى ·

فلا عجب اذن أن تزدهر دمشق في ذلك الزمن ، وأن يعمها الرخاء وينتشر فيها العمران ، وأن يؤمها الناس للاقامة فيها(٥) ·

لقد وفرت دمشق العيش الكريم لسكانها ، والسوق الرائجة لبضائع المدن المجاورة · وبنت المدارس ودور العلم تستقدم الطلبة من كل أقطار العالم العربي وتنفق عليهم وتنشئهم عدة للأمة وذخراً للأجيال ·

★ ★ ★

ولا بد - باديء ذي بدء - من توضيح مسألة منهجية ، فحديثنا عن دمشق الشام لا يعني أننا نعزلها عن المدن العربية الأخرى ، فهي لم تعرف في تاريخها العزلة ، ولم تبتعد يوماً عن محيطها الطبيعي · لقد ظلت دمشق دوماً قلباً نابضاً للشام(٦) تسري الحياة منه شرقاً حتى تصل الفرات والجزيرة والعراق ،

وتأتيه الحياة من الشرق لتزيده وجيباوعروبة ، وتنطلق منه الروح غرباً الى أرض الكنانة ، وتوغل حتى القيروان والمغرب والأندلس ، وتعود الروح اليه من الغرب مؤكدة عروبته وأصالته ·

من كل هذه الأقطار والأمصار يأتي الطلبة الى دمشق ، ومنها يأتي المحاربون يدافعون عن أرض العرب وعن حضارة الاسلام ·

من هذه الأقطار أتى العلماء الى دمشق ، وأتى الأطباء · بعضهم مرّ بها ، وبعضهم استقر فيها :

من بغداد جاء إسحق بن عمران ، مرّ بالشام وبمصر ، وألقى عصى الترحال في القيروان ·

ومن الموصل جاء عمار بن عليّ وعمل في مدن شامية عديدة(٧) واستقر في القاهرة ·

ومن الأندلس جاء ابن البيطار ليعمل في القاهرة وفي الشام ويموت في دمشق ·

لقد كانت الشام دائماً موئلاً للطلبة والعلماء أو مستقراً لهم(٨) ، توحد بين أقطار العروبة ، وتصل الرّحم ·

ولم تكن دمشق في كل تاريخها مكاناً للاقليميين أو الانعزاليين ·

ظلت دمشق تحمل هموم العرب وتدافع عنهم وترفع من شأنهم · تبني صرح دولتهم وتصنع حضارتهم وتحمل رسالتهم ·

وفي هذا العصر الذي نحن بصدده صارت دمشق كعبة للطلبة والعلماء والأطباء ·

ولكن اذا صح أنه (لولا دمشق لما كانت طليطلة) (ولا زهت بغداد) ، فانه لا يضير دمشق أن نبيّن انه في حقل تاريخ الطب :(لولا بغداد لما كانت دمشق) ، ولا زهت القاهرة أو القيروان أو قرطبة ·

فالطب العربي بدأ في بغداد ــ العاصمة العربية الثالثة ــ ذلك ان الدولة

العربية لم تستطع أن تأخذ طب الأمم السالفة وأن تتمثله وترفع رايته الا بعد فترة زمنية انتقل فيها مركز الدولة من الحجاز الى الشام ثم الى العراق[٩] •

وقد كان التأثير الأسبق – في حقل الطب – على بغداد لحاضرة الأحواز العربية « جنديسابور » في العصر العباسي الأول[١٠] •

ومن بغداد انتقلت العلوم الطبية الى الشام ومصر والمغرب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) •

أما في العصر الذي نحن بصدده فقدجاء الطب في أرقى مستوياته الى الشام من بغداد ، وبتعبير أدق : أثرت على الشام مدرسة بغداد الطبية التي كان على رأسها في ذلك الوقت الأستاذ البغدادي الكبير ابن التلميذ •

ان النهضة الطبية التي عرفتها الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين (ق ١٢ ، ١٣ م) تعتمد على الأساتذة الذين تتلمذوا – أساساً – على أساتذة مدرسة بغداد •

ولعل مهذب الدين بن النقاش[١١] هو أوضح مثال على ما نذهب اليه •

★ ★ ★

وثمة مسألة أخرى ، يجب أن نشير اليها : وهي : أن الباب الأخير من كتاب ابن أبي أصيبعة : (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) هو أهم أبواب هذا الكتاب ، ذلك أن الكاتب يدوّن فيه معلومات سمعها من أساتذته أو خبرها بنفسه • وأحداث هذا الباب تدور في العصر الذي ينتمي اليه المؤلف •

فالباب إذن ليس سجلاً قيّماً في مجال تاريخ الطب فحسب بل هو كنز لروايات أو مشاهدات ذات أهمية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو أدبية في ذلك الزمن •

ومن هذا الباب يستطيع الدارس أن يحصل على حقائق متفاوتة القيمة في كل هذه الحقول •

ومن المؤسف أن كتاب ابن أبي أصيبعة لم يحقق بعد ، ولم ينل ما يستحقه من اهتمام ودراسة •

وعلى هذا الكتاب يعتمد الباحثون المتميزون ، فيأخذون منه المعلومات الأساسية الضرورية لكتابة تاريخ الطب في الشام ويغنون حصيلتهم بما يجدونه في الكتب الأخرى التي قد تبدو لأول وهلة بعيدة عن مجال تاريخ العلم ككتب التاريخ العام أو كتب الطبقات أو تراجم الرجال أو حتى كتب الرحلات .

وقد كان كتاب (عيون الأنباء) ـ كما ذكرنا ـ المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه لوكلير حينما كتب كتابه الهام (الطب العربي)[١٢] .

أما محاولتنا نحن فتعتمد بالدرجة الأولى على قراءة الكتب الطبية التي ظهرت في هذا العصر الذي نحن بصدده لكي نعرف منه المزيد عن مستوى الطب وتوجهاته وفروع التخصص فيه وأسلوب ممارسته وطريقة تدريسه .

وبذلك نستطيع إغناء المعلومات التي أوردها ابن أبي أصيبعة ، أو التي تمكن الدارسون المتأخرون من جمعها .

وليس في علمي أن أحداً ـ حتى هذه الساعة ـ قد كتب عن هذه الحقبة من تاريخ الطب العربي مستنداً الى الحقائق التي يمكن أن تجتنى من كتب التدريس الطبية .

وبادىء ذي بدء يجب أن نقول أن ما خلصنا إليه من نتائج يؤكد ما توصل إليه الآخرون :[١٣] ففي هذا العصر ازدهرت المؤسسات الصحية والمدارس الطبية ، وزاد عدد الأطباء الكبار زيادة ملحوظة وظهر بينهم أساتذة مجلّون .

أما مستوى الطب ومحتواه فسيكونان موضوع دراستنا المتواضعة هذه .

* * *

احتل الفرنجة القدس عام ١٠٩٩ م ولم يمض أكثر من ثلاثة عقود حتى كان عماد الدين زنكي في الموصل قد بدأ عملية المقاومة الجادة[١٤] بهدف تحرير البلاد من المحتلين الغزاة .

وعلى الرغم من أن البدايات على يد عماد الدين كانت صحيحة إلا أن الحظ لم يسعفه للمضي طويلا في الشوط الذي نذر حياته لانجازه[١٥] . فخلفه ابنه نور الدين محمود في حلب عام ١١٤٦ م .

وقد تمكن هـذا القـائد التاريخي من السير قدماً على خطى والده فوحد مدن الشام ثم ضم مصر (١٦) ، وتوفي بدوره قبل أن يرى تباشير التحرير. وترك للقدر اختيار خليفته، فاختارت العناية الالهية صـلاح الدين الـذي أنجز مهمة توحيد مصر والشام ، ومضى على الطريق الصحيـح(١٧) حتى حطين وتحـرير بيت المقدس •

وقد عرف نور الدين محمود زنكي كيف يضع أسس دولة قوية ، تقدّر العلم حق قدره ، وشيد المشافي احتراماً لحق الانسان في المداواة وطلب الشفاء •

ومن المعروف أن دمشق كانت تزهو بمشفيين شهيرين حتى عصر نور الدين :

أولهما : المارستان القديم[١٨] غربي الجامع ، وثانيهما : بيمارستان باب البريد[١٩] •

وقد عُرف المشفى الحديث[٢٠] الذي بناه نور الدين بالبيمارستان الكبير[٢١] أو البيمارستان النوري[٢٢] •

أما المستشفى القديم فقد أطلق عليه فيما بعد اسم البيمارستان الصغير[٢٣]

وقد عين الملك العادل نور الدين الطبيب الأندلسي الأصل أبا المجد محمد بن أبي الحكم[٢٤] مديراً لهذا المشفى عند تأسيسه •

وقد قام هذا المشفى بعبء معالجة المرضى ، كما صار مدرسة للطب[٢٥] • لعبت ذلك الدور الهام في تاريخ العلوم الطبية الذي نحن الآن بصدد الحديث عنه •

وفي رحاب هذا المشفى صار تدريس الطب رسالة وطنية فأتى اليه طلبة العلم من المدن المختلفة ، كما أتى اليه الأساتذة الكبار الذين ساهموا في التعليم معتمدين على المعارف التي جمعوها في بغداد ، كما سبق وأشرنا •

ولعل أحد أهم انجازات هذه المدرسة الطبيـة هـو تزويـد المـدن السوريـة بالأطباء[٢٦] ، وكذلك الجيوش التي قامت بقتال الفرنجة أولاً ، ثم بمحاربة المغول •

وإذا كنا قد ذكرنا مهذب الدين ابن النقاش[٢٧] باعتباره الأستاذ المؤسس لهذه المدرسة والذي قام بتخريج أوائل الأساتذة الدمشقيين فانه لابـد أيضاً من ذكر أستاذ آخر هام من جيل الطليعة هو :

اليـاس بن جـرجس المطـران[٢٨] الذي ساهم بدوره في نقل العلوم الطبية

من بغداد الى الشام ، وعليه قرأ موفق الدين عبدالعزيز بن عبدالجبار السلمي[٢٩] المتوفي عام ١٢٠٨ م = ٦٠٤ هـ ٠

والسلمي هذا هو مؤلف كتاب (امتحان الألباء لكافة الأطباء ٠ الذي استعملناه في هذه الدراسة وجنينا من قراءته معلومات قيمة عن فروع التخصص ونظام الامتحان وكتب التدريس في مدرسة دمشق الطبية ، وأقدم تلامذة المدرسة الدمشقية الذين لعبوا دوراً متميزاً في تاريخ الطب بعد أن تخرجوا على مهذب الدين ابن النقاش في البيمارستان النوري اثنان :

أولهما : أسعد بن الياس (ابن المطران)[٣٠] الذي توفي عام ١١٩١ م = ٥٨٧ هـ ٠ وعليه درس الدخوار[٣١] الذي صار من أهم الأساتذة ٠

وثانيهما : رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي[٣٢] الذي قرأ الطب في بغداد ودمشق وعمل جزءاً من حياته في مصر ثم استقر في دمشق ونذر نفسه للتعليم والعمل في البيمارستان ؛ وقد درس عليه الدخوار وغيره ٠

أما الدخوار فهو مؤسس أول مدرسة طبية خاصة في دمشق[٣٣] ، وعليه قرأ بعض أهم أطباء القرن الثالث عشر الميلادي (= القرن السابع الهجري) ٠

ظل عبدالرحيم بن علي الذي اشتهر باسم مهذب الدين الدخوار أستاذاً في البيمارستان النوري ، ثم أسس مدرسة خاصة لتعليم الطب في منزله ، وقبل أن يوافيه الأجل أوصى بأن تظل داره مدرسة للطب ، وقام بتأمين دخل كاف لها ، ذلك أنه وقف لها أملاكه ٠ وقد توفي عام ١٢٣٠ م (= ٦٢٨ هـ) ويعتبر ابن النفيس وابن أبي أصيبعة من أشهر تلامذة الدخوار ٠

وقد أحصى الأستاذ زهير البابا[٣٤] عشرة من أجل تلامذة الدخوار مارسوا المهنة في مصر أو في الشام ، وقام بعضهم بالتدريس ، أو التأليف في العلوم الطبية ٠

ونكتفي هنا بذكر بعضهم تاركين للراغب في معرفة المزيد العودة الى مقالة الأستاذ البابا أو الى المراجع الأخرى ٠

ولا شك أن أشهر هؤلاء جميعاً هو ابـن النفيس[٣٥] المتوفي سـنة ١٢٨٨ م = ٦٨٧ هـ ٠

وقد صار ابن النفيس طبيباً للسلطان الظاهر بيبرس ، كما تبوأ منزلة رئيس الأطباء في مصر ٠

ويعتبر ابن النفيس من أهم شرّاح أبقراط ، لكن شروحه لقانون ابن سينا كانت أبعد أثراً فوصل صيتهـا في حياة ابن النفيس الى شيراز ٠

ومن أهم مؤلفات ابن النفيس كتاب (موجز القانون) الذي لخص فيه قانون ابن سينا ، وقد كتب (المهذب ٠٠٠) وهو كتاب في أمراض العين ، كما شرع بكتابه موسوعة طبية بعنوان (الشامل) ، وإضافة الى ذلك فقد كان أستاذاً للفقه في المدرسة المسرورية في القاهرة ٠

أما الأساتذة الذين عاشوا في الشام فنختار منهم أربعة :

١ ــ ابن أبي اصيبعـة[٣٦] : المـؤرخ الشهير ، وصاحب (عيون الأنباء ٠٠)

٢ ــ نجم الدين اللبودي[٣٧] : الذي عمل في حمص ٠ وصار وزيراً هناك ٠

٣ ــ ابن قاضي بعلبك[٣٨] : الذي صار رئيساً للأطباء ٠ وأستاذاً في الدخوارية ٠ وكان قبل ذلك قد عمل في الرقة ٠

٤ ــ ابن السويدي[٣٩] : وقد صار مدرساً في الدخوارية وشيخاً لأطباء مصر والشام.

ويذكر الأستاذ البابـا إضافـة الى هؤلاء الأربعة ثلاثـة آخرين[٤٠] يمكـن العودة اليهم في مقالة الأستاذ أو في (عيون الأنباء) ٠

وكما أن تدريس الطب لم يقتصر على مدرسة البيمارستان النوري ، بـل تجاوزها الى المدارس الخاصة ــ كما ذكرنا ــ (إذ عرف التاريخ المدرسة الدخوارية التي أشرنا اليها قبل قليل) فان عدداً من المدارس قـد ظهر في هذا العصـر[٤١] ، بعضها اهتم بالعلوم الدينية واللغوية ، وقام بتدريس بعض المواد اللازمة لدراسة الطب كعلوم الطبيعة ، وبعضها تخصص في التعليم الطبي النظري أو السريري ٠

ويلاحظ الأستاذ زهير البابا[٤٢] أن عدداً من خريجي المدرسة الطبية في البيمارستان النوري قد أوكل إليهم منصب رئاسة الأطباء في مصر أو في الشام، وذلك منذ بداية نشاط هذه المدرسة، ومن هؤلاء :

١ ـ **جمال الدين** : أبو عمرو عثمان بن أحمد القيسي[٤٣] المعروف بابن أبي الحوافر المتوفي عام ١٢٢٧م = ٦٢٥هـ الذي قرأ على ابن النقاش والرحبي.

٢ ـ سعد الدين : أبو اسحق ابراهيم بن عبدالعزيز السلمي[٤٤] المتوفي عام ١٢٤٦م = ٦٤٤هـ ابن الطبيب موفق الدين السلمي .

٣ ـ مهذب الدين : عبد الرحيم بن علي الدخوار ـ الذي سبقت الاشارة اليه . ويضيف الأستاذ البابا الى هؤلاء ثلاثة من تلامذة الدخوار سبقت الاشارة اليهم، وهم :

١ ـ ابن قاضي بعلبك[٤٥] : المتوفي سنة ١٢٧١ م = ٦٧٠ هـ .

٢ ـ وابن النفيس[٤٦] : المتوفي سنة ١٢٨٨ م = ٦٨٧ هـ .

٣ ـ وابن السويدي[٤٧] : المتوفي سنة ١٢٩١ م = ٦٩٠ هـ .

★ ★ ★

وينبه الأستاذ ابراهيم بن مراد[٤٨] الى ظاهرة أن الملوك اصطفوا عدداً من الأطباء ليكونوا أطباء شخصين لهم يرافقونهم في رحلاتهم وحروبهم، وكذلك فعل الأمراء والوزراء وقادة الجيش .

كما يشير الى أسماء الأطباء الذين وصلوا الى منصب الوزارة وهم[٤٩] :

١ ـ ابن الساعاتي[٥٠] : الذي استوزره أمير دمشق عيسى ابن الملك العادل (توفي ١٢٢٧ م = ٦٢٤هـ) وقد قرأ على رضي الدين الرحبي .

٢ ـ يوسف السامري[٥١] : الذي استوزره أمير بعلبك مجد الدين بهرام شاه (ت ١٢٣٠ م = ٦٢٨ هـ) .

٣ ـ ابن غزال[٥٢] : الذي استوزره أمير دمشق عماد الدين اسماعيل بن أبي بكر الأيوبي (ت ١٢٥٠ = ٦٤٨هـ) .

٤ ـ نجم الدين اللبودي[٥٣] :الذي استوزره أمير حمص ابراهيم بن أسد الدين شيركوه (ت ١٢٤٥م = ٦٤٣ هـ)وكان قد قرأ على الدخوار .

* * *

ولعله من غير الضروري المضي في استعراض مشاهير أطباء هذه الحقبة وقد أحصى منهم(اعتماداً على ابن أبي أصيبعة)الأستاذ ابن مرادفي القرن السادس الهجري (ق.١٢,م) عشرين طبيباً شهيراً[٥٤] ،جلهم قام بأعمال علمية أو اجتماعية هامة أو تبوأ منصباً ادارياً أو ترك أثراً طبياًمكتوباً .

أما أطباء القرن السابع الهجري (ق١٣ م) فقد أحصى منهم الأستاذ ابن مراد خمسة وستين عَلَماً شهيراً[٥٥] .

ولكن ربما كان من المناسب أن نذكرهنا أسماءبعض أساتذة المدرسةالدخوارية ممن تعاقبوا على ادارتها :

١ ـ علي بن يوسف الرحبي[٥٦] .
٢ ـ ابن قاضي بعلبك[٥٧] .
٣ ـ عماد الدين الدنيسري[٥٨] .

أما الأساتذة الذين كانت لهم مجالس علمية خاصة فكثيرون ، سبق أن ذكرنا منهم مهذب الدين ابن النقاش ، ورضي الدين الرحبي ، ومهذب الدين الدخوار ويضيف الأستاذ ابن مراد ثلاثة آخرين[٥٩] هم :

١ ـ موفق الدين عبدالعزيز بن عبد الجبار السلمي[٦٠] الذي توفي عام ١٢٠٨ م = ٦٠٤ هـ وهو مؤلف كتاب (امتحان الألباء لكافة الأطباء) الذي أشرنا اليه .

وهو والد الطبيب الشهير سعيد الدين أبو اسحق ابراهيم السلمي الذي سبق ذكره .

٢ ـ رشيد الدين ابن خليفة[٦١]المتوفي١٢١٩ م = ٦١٦ هـ وهو عم مؤرخ الطب الشهير ابن أبي أصيبعة .

٣ ـ شمس الدين اللبودي :[٦٢] المتوفي ١٢٢٤ م = ٦٢١ هـ

* * *

وزبدة القول :

فهذه المعلومات ذكرها ابن أبي أصيبعة وعرضها لوكلير وغيره . وقد لخصنا تلخيصاً شديداً الدراستين اللتين كتبهما الزميلان الأستاذ البابا والأستاذ ابن مراد - اعترافاً بفضلهما(٦٣) - وذلك لكي نخلص الى القول بأن الشام قدّمت في مجالي الممارسة والتعليم الطبي الشيء الكثير ، إذ تطورت فيها المشافي التعليمية وازدهرت المؤسسات الصحية ، وانتشر تلامذة دمشق وخريجو مدارسها في طول البلاد وعرضها فشغلوا أخطر المناصب الادارية في مجال الصحة وادراة المدارس الطبية في مصر والشام .

ومن هذه المدارس تخرج مؤلفو الكتب الطبية التي قمنا بدراستها وحصلنا منها على النتائج التالية :

أولاً : ترسّخ نظام التخصّص الطبي

نحن نعلم أن نظام التخصص الطبي ظهر في بلادنا في عصر حضارة مصر الفرعونية ، وحضارة بلاد ما بين النهرين القديمة ، فقد جاء ذكر طبيب العيون مثلاً في البرديات المصرية ، كما ورد ذكره في شريعة حمورابي التي أخذت بدورها عن تقاليد سالفة(٦٤) .

وقد استمر هذا التخصص في بلادنا عبر العصور اللاحقة حتى جاء الطب اليوناني فأكد على وجود هذا التخصص في العصر الهلنستي وما تلاه الى أن جاء الاسلام الذي حافظ على هذا الانجاز العلمي الشرقي العتيد .

فمنذ القرن الثامن الميلادي (القرن الثاني الهجري) نجد شواهد عديدة على وجود أطباء العين ، ومؤلفات متخصصة(٦٥) في هذا الحقل(٦٦) ، وكتباً للتدريس وامتحانات .

وفي القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) تظهر شواهد مشابهة على وجود الجرّاح المتخصص ، الذي يقوم بعمليات الكيّ والفصد والتجبير اضافة الى العمليات الجراحية الصغرى(٦٧) .

أما في العصر الذي نحن الآن بصدده فان المصادر تؤكد لنا وجود الطبيب المتخصص بالأمراض الباطنة الى جانب الجرّاح والكحّال .

وإذا تعمقنا في محاولة استقراء النصوص ، فانها تحدثنا عن الأعمال التي كان يقوم بها الطبيب الباطني ، فهو الذي ينظر في القارورة - أي هو الذي يفحص بول المريض - وهو الذي يعالج الحميات، كما أنه يشرف على أقسام المشفى التي خصصت للمرضى المصابين باضطرابات عقلية .

ونجد في الكتب الموسعة أبواباً خاصة بجبر الكسور ورد الخلوع تشير صراحة الى بداية ظهور فرع الجراحة العظمية(٦٨) .

وثمة أبواب خصصت لوصف عمليات الفصد المختلفة التي كان الجرّاح أو الطبيب بحاجة الى معرفتها لمعالجة عدد كبير من الأمراض العامة أو حتى بعض الأمراض العينية(٦٩) . وقد ألّف بعض الأساتذة رسائل خاصة بالفصد .

ومن نافلة القول أن الفصد ظلّ مستعملاً لمعالجة بعض أمراض العين في عدد كبير من المدارس الطبية الأوروبية حتى منتصف هذا القرن .

وقد تبين لنا من دراسة كتاب السلمي(٧٠) (امتحان الالباء لكافة الأطباء) ان هذا الأستاذ يتعامل في أسئلة الامتحان مع فرعين مستقلين من فروع الجراحة : الجراحة العامة ، والجراحة العظمية(٧١) فهل يميز المؤلف بين اختصاصين ؟ أم بين مقرّرين في تخصص واحد ؟

أما الصيدلة فقد تطورت بدورها في اتجاه ظهور عملين متخصصين(٧٢) .

العمل الأول الذي يقوم به العشاب الذي يعرف النباتات في مواطنها فيقوم بجمعها وحفظها ووضعها في متناول زميله الآخر الذي يعمل في البيمارستان .

والعمل الثاني يتم في الصيدلية ، وثمة نوعان من الصيدليات: الأولى صيدلية البيمارستان التي تحضّر الأدوية للمرضى المقيمين وللمراجعين الذين يترددون على العيادات المتخصصة . والثانية هي الصيدلية الخاصة التي كثيراً ما كان يقال لها : الدكان . وهي تلك التي يمتلكها طبيب وتكون تابعة لعيادته، يعمل فيها مساعدون له متخصصون ، يقومون بتحضير الأدوية البسيطة وحفظها وتركيب الأدوية

المركبة ، أو انها تكون ملكاً لصيدلاني متخصص يأتي اليها لشراء الأدوية مرضى جاؤوا من عيادات أطباء مختلفين ٠

فاذا أردنا أن نسمي أحد أعلام العشّابين في هذا العصر ، ممن حفظت لنا المصادر معلومات وافية عن اسلوبهم العلمي في دراسة الأعشاب الطبية ووصفها فاننا لا نجد أجدر من رشيد الدين الصوري[٧٣] (ت ١٢٤١ م ـ ٦٣٩ هـ) الذي يعود الفضل في تخليد ذكره الى ابن أبي اصيبعة الذي أطنب في وصف طريقته في البحث عن النباتات في مواضع نبتها ، وتسجيل أوصافها في مختلف مراحل نموها ، والقيام برسمها بالألوان من قبل رسام متخصص ٠

ورشيد الدين الصوري هذا هو أحد تلامذة موفق الدين عبد العزيز السلمي صاحب (امتحان الالباء ٠٠٠)

ثانياً : نظام الامتحان الطبي

كتب يوحنا بن ماسويه (ت ٢٣٤ هـ = ٨٥٧ م) في بغداد أقدم كتاب تمتلكه البشرية في هذا المعنى ٠ ويكون ابن ماسويه بذلك رائد تأليف هذا النوع من الكتب التي تحدد سوية أسئلة الامتحان ، ليكون بمثابة تذكرة للطالب يعرف من قراءته مستوى الأسئلة المطلوبة منه في الفحص الذي يجريه من أجل الحصول على ترخيص لممارسة المهنة ٠

وهذا الكتاب لم يُكْتَبْ للطالب فحسب ـ كما ظن بعض الباحثين[٧٤] لكنه كُتب للمتحن أيضاً ، يهدف الى اطلاع الأستاذ الذي يُجري الفحص على المستوى المثالي والحد العادل الذي ينبغي أن تكون عليه الأسئلة من حيث صعوبتها أو سهولتها ، ومن حيث شمولها للمناهج واحاطتها بالمقررات ٠

وكتاب ابن ماسويه هذا متخصص في مجال امتحان أطباء العين ، وعنوانه (معرفة محنة الكحالين) ٠ و (المحنة) هنا بمعنى الامتحان[٧٥] ٠

وقد ظهر في دمشق بعد ذلك بقرون كتاب آخر على درجة رفيعة من الأهمية في تاريخ الطب ، ذلك أنه يمثل الفلسفة نفسها التي يعبر عنها أستاذ بيت الحكمة ابن ماسويه ٠ وهذا الكتاب ليس من النوع الذي يقتصر على اختصاص بعينه ،

بل انه يشمل الأسئلة الموجهة لامتحان الأطباء الباطنيين والكحّالين والجرائحيين والمجبرين والصيادلة والعشابين ·

ومن المهم أن نقول أن هذا الكتاب لم ينل بعد ما يستحقه من اهتمام ، وبالتالي فاننا لا نعرف ما إذا كانت أقسامه تشير الى المقررات المختلفة المطلوبة من الطبيب يوم تخرجه ، أم أنها تشير الى مجموعة الامتحانات التي ينبغي أن يجتازها المتخصصون كل في حقله ·

عنوان هذا الكتاب يشير الى طبيعته (امتحان الألباء لكافة الأطباء) ومؤلفه هو الأستاذ الدمشقي موفق الدين السُلَمي ، المتوفي عام ٦٠٤ هـ = ١٢٠٨ م ·

ونحن نعرف هذا الأستاذ بفضل الترجمة المختصرة التي أوردها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء[٧٦] ·

ولما كانت دراستي لهذا الموضوع حديثة ، لذلك فان المعلومات التي توفرت في هذا الحقل ما تزال قليلة ، وبالتالي فان الباب ما يزال مفتوحاً للبحث عن هذه الفئة من الكتب التي ظهرت في الزمن الممتد بين عصر ابن ماسويه وعصر السُلمي ·

وسوف نعرف في المستقبل القريب المزيد عن هذه المسألة الهامة في تاريخ الطب ، ذلك أن كل المؤشرات تدل على وجود نظام عريق متطور لاعطاء الاجازة الطبية بعد اجتياز امتحان تشرف عليه المؤسسات التعليمية · وهذا بطبيعة الحال انجاز مهم في تاريخ الطب تحقق في بلادنا ·

ومن الواضح أن هذا الامتحان شيء والامتحان الذي تجريه الدولة للأطباء الممارسين شيء آخر · فالأول امتحان مدرسي [تقوم به المؤسسات] التعليمية، والثاني الاجراء" تقوم به المؤسسات [التي أنيط بها مراقبة ممارسة المهنة] ·

ومن نافلة القول أن نشير هنا الى الامتحان الذي أجري في بغداد بطلب من الخليفة ، ذلك انه يبدو أن بعض الممارسين لم يكن قد قام بدراسة الطب أصولا، وتجرأ على ممارسة المهنة دون أن يكون مؤهلا لهذا العمل ·

وبطبيعة الحال فان النوع الثاني من الامتحان ـ امتحان الممارسين ـ كان من صلب عمل المحتسب[٧٧] ·

ومن المعروف أن نظام تعلّم المهن الطبية كان في الزمن السالف يقوم على حصر المهنة ضمن الأسرة الواحدة ، أو أخذها عن طبيب ممارس معروف ، دون وجود مدرسة طبية ، وبالتالي فان الممارسين في العصر العباسي كانوا على فئتين : الدارسون على الطريقة التقليدية ، والدارسون في المدارس أو المشافي ·

ومن هنا صار الخضوع للامتحان شيئاً مهماً قبل التخرج · ومن هنا أيضاً كان من واجب المحتسب أن يراقب أصول الممارسة وكيفيتها وذلك لأن ثمة عدداً من الأطباء الممارسين ينتمون الى الصنف الأول الذي أشرنا اليه ، وهو الصنف الذي لم يداوم في البيمارستان ، ولم يتلق دروساً أصولية عند أستاذ معترف به ، والذي حافظ على وجوده بقوة الاستمرار ، خاصة في الزمن الذي سبق انتشار المدارس الطبية والبيمارستانات التي تقوم بمهمة تعليمية ، كالبيمارستان النوري مثلا ، في عصرنا هذا ، أو بيمارستانات بغداد العديدة أيام الخليفة المقتدر مثلا ، أو مشفى بغداد الذي كان يديره ابن بختيشوع والذي تعلم فيه ابن ماسويه ·

ثالثاً : كتب التدريس الطبي والمراجع

بمقارنة أسماء الكتب التي وردت في (عيون الأنباء) بأسماء الكتب التي أوردها السلمي ، نتمكن من التعرف على عدد كبير من المؤلفات المعتمدة للتعليم في مدارس دمشق الطبية ، كما نستدل على أسماء عدد من المراجع المتوفرة في المكتبات في ذلك الزمن ·

وبدراسة هذه الأسماء يمكن أن نحصل على بعض الحقائق الهامة في تاريخ الطب العربي · ونورد هنا بعضها :

١ ـ كان كتابا : الملكي[٧٨] والقانون[٧٩] المرجعين الرئيسيين اللذين اعتمدهما السلمي في احالاته المتعلقة بأجوبة الأسئلة المطلوبة في الامتحان ، في معظم أبواب كتابه (امتحان الألباء ...) وذلك في مجال نظريات الأمراض وكليّات

الطب بشكل خاص . وهذا يشير الى أن القانون لم يحل محل الملكي كما هو شائع .

٢ ـ ظلت بعض كتب جالينوس مراجع هامة حتى هذا العصر ، ذلك أن الموضوعات التخصصية التي عالجتها بعض مؤلفات جالينوس جعلت من الترجمات العربية لهذه الكتب مصادر أساسية موثوقة . فمن المعروف أن كتب الطب الشاملة ذات الطابع الموسوعي كالملكي والقانون لخصت كل مؤلفات جالينوس ، إلا أن الترجمات الدقيقة لهذه الأعمال ظلت موضع اهتمام الأساتذة ، وذلك رغم الشروح العديدة التي كتبها الأساتذة العرب لهذه الكتب .

ومن الضروري أن نشير الى أن معظم أساتذة الطب لم يعودوا بحاجة الى معرفة اللغة اليونانية لفهم جالينوس ، وذلك بعد ظهور ترجمات حنين الدقيقة ، وبعد ظهور كتاب الحاوي الذي جمع أهم ما كتبه الأساتذة الاغريق[٨٠] . ومع ذلك فان بعض الأساتذة كان يتقن اليونانية .

وإذا أردنا أن نسمي بعض كتب جالينوس التي أشار اليها السلمي فاننا نذكر :

١ ـ البحران . ٢ ـ أيام البحران . ٣ ـ كتاب النبض الكبير . ٤ ـ حيلة البرء . ٥ ـ الحميات .

٣ ـ يشهد جميع الباحثين أن المعرفة الطبية في القرن العاشر صارت متجانسة في طول البلاد وعرضها ، وأضحى انتقال الكتب الطبية سريعاً بين أقصى الأندلس والشام أو أقصى أواسط آسيا ومصر مثلاً ، فمراكز الحضارة جميعها أصبحت تمثل ثقافة موحدة ، سواء من حيث التعليم النظري أو الممارسة السريرية . وبطبيعة الحال فاننا نجد في كتب المدرسة الطبية الدمشقية ما يؤكد هذه الحقيقة :

فان أحد أهم المراجع في دراسة التشخيص التفريقي للأمراض في دمشق هو كتاب (البول) الذي ألفه اسحق بن سليمان الاسرائيلي[٨١] (ق ٩ ـ ١٠ م) ـ (٣ ـ ٤ هـ) وقد جاء هذا الكتاب من القيروان .

وكذلك كان أحد أهم كتب الأدوية في دمشق كتاب ابن وافد (الأدوية المفردة) الذي يعتبر من انجازات المدرسة الأندلسية في علم العقاقير . وقد إعتُمدَ في الشام أيضاً كتابان أندلسيان في الطب هما كتاب الزهراوي[٨٢] وكتاب ابن زهر[٨٣] .

٤ ــ ظل كتابا (النجاة) و (الشفاء) لابن سينا مرجعين مستعملين لفهم نظريات الأبصار. هذا الموضوع المشترك بين الفلاسفة والأطباء.

وسنعود الى تفصيل هذا الأمر.

٥ ــ قام بعض الأطباء في هذا العصر بالتعليق على بعض كتب ابقراط أو جالينوس، أو أنهم قاموا باختصارها أو شرحها، وهذا الاسلوب في التأليف عرفه العرب منذ القرن التاسع. واستمر في أيام الرازي، وظل ناشطاً حتى هذا العصر.

ومن أهم شرّاح أبقراط في هذا العصر ابن النفيس وابن القف[٨٤].

رابعاً : تطور علم التشخيص التفريقي

من المعروف أن أول انجاز كبير حققه العرب في هذا الحقل يعود الى عصر الرازي[٨٥] الذي توصل الى معرفة العلاقة بين الأعراض الجلدية لبعض الأمراض والأعراض العامة لهذه الأمراض نفسها، فهو الذي ربط بين الآلام والحمى باعتبار أنها أعراض متعممة وبين الأعراض الجلدية لمرض الجدري. وقد قاده ذلك الى التفريق بين الجدري والحصبة. واضافة الى ذلك فان الرازي ــ نتيجة مراقبته لسير المرض ــ تمكن من وصف التغيرات التي تطرأ على التظاهرات الجلدية للأمراض. ففرق بين الحويصل المائي الذي يتبدّى على الجلد وبين النفاطات أو التظاهرات الأخرى المشابهة. كما أنه ربط بين الظاهرة الجلدية في مرحلة البدء وبين الظاهرة نفسها في مرحلة التقيح أو التقشر[٨٦] وأكد أنها ظاهرة لمرض واحد.

ويشهد جميع مؤرخي الطب للرازي بهذا الفضل في تاريخ الطب. ولعل هذا العمل الذي قام به الرازي قد ساهم في ذيوع صيت هذا الطبيب في أوروبا اللاتينية والحديثة.

وقد سار الأطباء العرب على نهج الرازي وتمتعوا بعين سريرة متفحصة ونظرة ثاقبة وطول أناة في متابعة سير المرض وتطور أعراضه.

وقد خطا ابن الجزار القيرواني[٨٧] خطوة متقدمة على هذا السبيل إذ ألف كتاباً في (الفروق بين الأمراض)[٨٨] يعتبر من أقدم الأعمال في علم التشخيص التفريقي.

ولم يقصر أطباء دمشق في هذا العصر في مجال هذا العلم ، فلجأوا الى فحص بول المريض والى جس نبضه والى وصف شكل الحمى التي يعاني منها[٨٩] . واستفادوا من الفروق بين هذه التظاهرات لوضع التشخيص الدقيق .

كما أنهم تمكنوا من التفريق بين الأشكال السهلة للأمراض النفسية أو العصبية والأشكال الأخطر ، وعلى ذلك فان المرضى العقليين كانوا يعاملون في بيمارستانات الشام معاملة لائقة فهم مرضى في عرف المجتمع وليسوا مجانين أو أشراراً أو ضحايا للأرواح الشريرة[٩٠] .

وإذا أردنا أن نعطي بعض الأمثلة على انجازات أطباء العين في هذا الحقل فاننا نذكر فضل ابن النفيس في التفريق بين أشكال الحَوَل المختلفة ، ووضع التشخيص السببي لها[٩١] .

خامساً : المعجم الدوائي عديد اللغات

كانت المدارس الطبية الشرقية في بغداد ودمشق واقعة تحت نفوذ أعلام الصيدلة الشرقيين ، وظلت أعمال هؤلاء هي المراجع الرئيسية للدراسة . وأهمّ هذه الأعمال هي الترجمتان العربيتان لكتابي ديوسقوريدوس[٩٢] وجالينوس[٩٣].

وقد صارت هاتان الترجمتان حجري الزاوية في علمي العقاقير والصيدلة عند العرب .

وقد أضيفت الى هذا العلم الموروث عن الاغريق أدوية عديدة أخرى ذات مصدر شرقي : هندي أو فارسي ، كما أن بعض الأدوية التي كانت مستعملة في مصر أو الشام غابت عن الأساتذة الاغريق فلم يدونوها في كتبهم ، رغم انتشارها في الشرق .

وقد عالج الأساتذة العرب هذا النقص ، وأكملوا المادة العلمية المترجمة عن الاغريقية .

وعلى ذلك نستطيع أن نفهم أهمية المؤلفات العربية في هذين العلمين ، حيث تمكن الأساتذة العرب من جمع المادة الدوائية من مصادرها المختلفة وأحسنوا تبويبها وعرضها ، فقدموا للقارىء مادة علمية أكمل .

ومن أهم هؤلاء في الشرق ابن ماسويه وعلي بن ربن الطبري والرازي

والتميمي والبيروني وابن جزلة[٩٤] •ومن أهمهم في الأندلس ابن جلجل[٩٥] •

ولا شك أن بعض الأعمال المتعلقة بالأدوية المفردة قد وصلت من المغرب أو من الأندلس الى الشرق العربي • إلا أن الحادثة الهامة في تاريخ الطب هي مجيء ابن البيطار الى مصر والشام ، قادماً من الأندلس بعد رحلة طويلة عبر بها شمال افريقيا وبعض جزر المتوسط وبلاد الروم وآسيا الصغرى ، ذلك أنه أحضر معه الى الشرق خلاصة وافية لأعمال المدرسة الأندلسية في النبات والأدوية •

وفي الحقيقة فان التقاليد العلمية في الأندلس كانت قد عرفت منذ القديم ظاهرة الرحلة المشرقية ، فقد اعتاد العلماء على المجيء الى الشرق في طريقهم الى الحج • وقد استفادوا من رحلة الحج هذه فحرصوا على التعرف الى زملائهم في المهنة ، أو أنهم سمعوا من بعض شيوخ الحواضر الشرقية دروساً مختلفة قبل عودتهم الى ديارهم ، وربما طاب لبعضهم العيش في بعض مدن الشرق فاستقر بها وتوفي هناك •

وقد أحضر علماء الأندلس من الشرق الى الأندلس اثر عودتهم الكثير من الكتب العلمية ، كما اصطحب بعضهم كتب الأندلس الى الشرق •

وهكذا فقد أتيح للطلبة والأطباء في الشرق والغرب على السواء الاطلاع على الكتب الصادرة من شتى الأقطار العربية •

وقد خطا العلم خطوتين هامتين نتيجة لجهود العلماء العرب : أولهما ان الصيادلة والعشابين أضافوا في كتبهم الأدوية التي لم يعرفها الاغريق فصار الكتاب شاملاً وافياً[٩٦] •

وثاني هذه الخطوات هو تعريف البلدان المختلفة بالنباتات الطبية التي لا تنبت إلا في البلدان الأخرى ، والحديث عن وصفها النباتي وتأثيرها الدوائي ومزاياها العلاجية •

وعلى ذلك فقد صار العلماء مضطرين الى معرفة اسم النبات الواحد باللغات العديدة المستعملة في الأقطار المختلفة[٩٧] •

وقد كانت اللغة الفارسية ــ وأحياناً الهندية ــ مستعملة لدى صيادلة الشرق اضافة الى السريانية والعربية والاغريقية ، وذلك لتعريف اسم النبات •

أما في المغرب والأندلس فقد كانت اللغة البربرية هي اللغة الأولى المستعملة الى جانب العربية ، ويضاف اليها الاغريقية واللاتينية • وعامية الأندلس •

كما اننا نجد بعض أسماء الأدوية وقد حفظ لنا في أصله القبطي أو النبطي، وفي ذلك دليل هام على عراقة استعمال هذا الدواء في بلادنا وانتشاره قبل الاسلام بكثير ، رغم أننا لا نجد هذا الدواء في الكتب اليونانية •

ولعلّ أشهر رحلة علمية (نباتية ـ دوائية) هي تلك التي قام بها العشاب الشهير أبو العباس النباتي[٩٨] (ت ٦٣٧هـ = ١٢٣٩ م) الى الشرق العربي بين سنتي ١٢١٥ ، ١٢١٨ م (= ٦١٢ ـ ٦١٥ هـ) وبعدها كتب كتابه الهام (الرحلة الشرقية) وفيه خلاصة للخبرة والتجربة المكتسبتين من هذه الجولة •

ويُعتبر أبو العباس النباتي أهم أساتذة ابن البيطار •

ويعتبر ابن البيطار خير ممثل للمدرسة الأندلسية[٩٩] ، ذلك أنه جمع أهم منجزات علمائها في مجالي : علم النبات وعلم الأدوية ، واكتسب خبرة خاصة من أساتذته في المغرب العربي ، وفي جولته حول البحر المتوسط وصولا الى بلاد الروم ومنها الى مصر فالشام •

وقد عارض ابن البيطار في كثير من الأحيان المدرسة الطبية البغدادية ووجه نقداً شديداً الى ابن جزلة[١٠٠] مما أتاح لطلبة الطب في دمشق الاستفادة من هاتين المدرستين : البغدادية ـ الدمشقية من جهة والأندلسية من جهة أخرى. وقد أدى ذلك الى تطور كبير في المؤلفات التي ظهرت بعيد ذلك •

وبكلمة أخرى: فان تعرّف أطباء دمشق على أحد أبرز ممثلي المدرسة الأندلسية أدى الى تطور علمي كبير : أحد مظاهر هذا التطور هو اكتشاف أهمية المعجم الدوائي / النباتي عديد اللغات ، ففي كتاب ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية : والأغذية)[١٠١] وجد أطباء دمشق مترادفات كثيرة لأسماء النبات ، كما عرفوا اسم الدواء بلغات أخرى غير معروفة في الشرق كاللاتينية أو البربرية • فقلد هذا الكتاب مؤلف دمشقي هو ابن السويدي[١٠٢] في كتاب سماه : (السمات في أسماء النبات) وفي هذا الكتاب بلغ (المعجم الطبي عديد اللغات) ذروة تطوره ، اذ صار النبات الطبي يُذكر باسمه في عدد كبير من

اللغـات : العربية والسريانية والفارسيةواليونانية واللاتينية والبربرية وعامية الأندلس ٠

وترد بعض الأسماء بلغات أخـرى :كالسنسكريتية والنبطية والقبطية ٠

فهذا الكتاب اذن معجم لأسماء النباتات الطبيـة ، ينهـج فيـه المؤلف نهـج أستاذه ابن البيطار في أحد أغراض كتابه: (الجامع ٠٠٠) ٠

وفي الحقيقة فان المعجم النباتي الدوائي ظهر أول ما ظهر في الأندلس[١٠٣] ، ووصل الى مستوى رفيـع في كتاب ابـنالبيطار ، الا أن ابن السويدي تفـوق في هذا المجال على أستاذه ابن البيطار ٠٠

★ ★ ★

سادساً : كتب الأدوية المقابلة للأمراض

كـان لابن البيطـار تأثـير آخـر على أطبـاء دمشـق في منتصف القـرن الثالث عشر الميلادي (= ق ٧ هـ) ٠ فقدكتب ابن البيطار كتاباً سـماه (المغني في الأدوية المفردة)[١٠٤] ٠

وقد صنف المـؤلف هذا الكتـاب تصنيفاً مبتكراً ٠

فهو يعرض فيه الأمراض بالتسلسلوفق الأسـلوب المتبع في ذلـك الوقت : (من الفـرْق الى القدم)[١٠٥] لكنه يكتفيبذكر اسم المرض دون أن يعطي تعريفا له ، ودون أن يعدد أسبابه أو يصف أعراضه ٠ وتكون أسماء الأمـراض في هـذا التصنيف بمثابة عناوين لفقـرات (أوفصول) في الكتاب ٠

فاسم المرض يصبح في هذا الكتـابعنواناً أما مادة الفصل فهي تعداد أسماء الأدوية المفردة[١٠٦] المستعملة لعلاج هذاالمرض ، وهي كثيرة في معظم الأحيان ٠

ويكون تسلسل الأدوية في كل فصل(أو فقرة) وفق الترتيب الهجائي ٠

وفي هذا الكتاب لا يفصل ابن البيطار في الحديث عن هذه الأدوية بل يكتفي بالاشارة الى فائدتها لعلاج هذا المرض ٠وقبـل أن يكتب ابن البيطـار كتابـه (المغني) ، كان الاسلوب المتبع هو تعدادأسماء الأدويـة المفـردة وفـق الترتيب الهجائي أيضاً ، ولكن مع ذكر خواصهـاومميزاتها وأوصافها وتأثيرها الدوائي٠

أما هذا الكتاب فالأساس فيه هو عرض الأمراض حسب الأعضاء الألمة وذكر أسماء الأدوية المستعملة لعلاج هذه الأمراض بشكل مقتضب ·

وقد اهتم ابن السويدي بهذا الأسلوب فاتبعه في كتابة كتاب ضخم سماه :

(التذكرة الهادية والذخيرة الكافية) [107] لكن ابن السويدي في هذا الكتاب قلد أيضاً كتاب (الجامع ···) لابن البيطار في أحد مزاياه الهامة ، ذلك أنه اختار فيه مجموعة كبيرة من المقتبسات[108] أخذها من أهم المؤلفين في هذا الحقل، ومن هنا جاء حجم الكتاب الضخم ·

فتذكرة ابن السويدي اذن تجمع ميزتين هامتين من كتابيّ ابن البيطار (المغني ··) و (الجامع ··) : من (المغني ··) أخذ أسلوب (الأدوية المفردة المقابلة للأمراض) ، ومن (الجامع ··)أخذ أسلوب الاكثار من الاقتباسات ·

وهذا يفسر لنا الشهرة التي تمتع بها هذا الكتاب لعدة قرون ·

ويبدو أن أسلوب تعداد الأدوية المفردة المستعملة لعلاج الأمراض مرضاً مرضاً كان شائعاً في هذا العصر ،ولعل هذا التقليد بشكله المبسط يعود الى أيام ابن بطلان[110] وابن جزلة[111] أي الى القرن الحادي عشر الميلادي ـ (القرن الخامس الهجري) ، حيث ظهر أسلوب (الجداول) في الكتاب الطبي·

فاذا نظرنا في كتاب ابن جزلة (تقويم الأبدان··) واخترنا الأقسام المتعلقة بأمراض العين على سبيل المثال : وجدناه يعدّ أولاً أمراض الجفن، وبعدها أمراض المأق ، ثم أمراض الملتحمة ، ثم أمراض القرنية ، وهكذا · ويذكر الى جانب كل مرض اسم الدواء المتوفر المناسب له ،أي الدواء المتوفر في كل زمان ومكان والذي يمكن الحصول عليه بثمن زهيد · ثم يذكر الأدوية الأخرى · وبعدها يذكر ما يسميه (التدبير الملوكي) وهو الدواء الذي لا يكون له مذاق مرّ ، والذي لا يزعج المريض فيوصف للملوك أو للأطفال ·

وقد اعتمد هذا الأسلوب البسيط على شكل الجدول الذي يحتوي على خانات أحدها تذكر الفصل الذي يكثر فيه انتشار المرض ، وأحدها يعيّن السن الذي يشاهد فيه المرض ، وأحدها يجيب: هل يستفيد المريض في المعالجة من أسلوب الفصد أو لا يستفيد ، وفي خانة أخرى يذكر أشكال التدبير الذي يُلجأ اليه في

المعالجة اضافة الى المداواة كاللجوء الى الحمام أو الحمية أو الجراحة الخ . ويبدو أن ظاهرة (تعداد) الأدوية المختلفة المناسبة لكل مرض من الأمراض هي التي تطورت ووصلت الى ما نحن بصدده في هذا العصر ..

ومن المؤلفين الذين اعتمدوا هذا الأسلوب في التأليف كحّال أندلسي جاء الى بغداد ، وكتب فيها كتاباً سماه (النهاية في علم العين)[١١٢] وفي أحد أقسام الكتاب يعدد المؤلف أمراض العين مبوّبة حسب التقسيم المتبع في ذلك العصر ، ثم يذكر الى جانب كل مرض أسماء الأدوية المفردة المخلتفة التي تستعمل لعلاجه . وهذا الكحّال هو عبدالله بن قاسم الحريري الاشبيلي المتوفي قبل انتصاف القرن الثالث عشر الميلادي .

ولعله من المهم في تاريخ الطب العربي أن نحاول التعرف ما اذا كان ابن البيطار والحريري الاشبيلي قد تأثرا بمؤلف لا نعرفه نَسجا على منواله في هذا الأسلوب الجديد في التأليف .

أما ابن السويدي فلا شك أنه تأثر بابن البيطار وسلك سلوك أحد تلامذته .

سابعاً : المؤلفات الجراحية :

في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الميلادي ، (وربما في السنوات الأولى من القرن الرابع عشر) كتب يحيى بن أبي الرجاء الحموي كتاباً في طب العين سماه (نور العيون وجامع الفنون) . وقد اشتهر هذا المؤلف في أوساط الاستشراق ومؤرخي الطب في العصر الحديث باسم صلاح الدين بن يوسف[١١٣] ، ولعل هذا الكتاب أحد أهم كتب الكحل المتأخرة التي كتبها العرب .

وفي مقدمة الكتاب يذكر المؤلف انه اعتمد في جمع المادة العلمية لهذا الكتاب بشكل رئيس على بعض الكتب ، أحدها هو كتاب الزهراوي[١١٤] (التصريف لمن عجز عن لتأليف) ولكنه في متن الكتاب يستشهد بأكثر من ستين مؤلفاً في الطب .

وفي هذا الكتاب (نور العيون ...) نجد تأثير الزهراوي واضحاً في الجراحة العينية ، كما نجد أيضاً تأثيراً لابن زهر[١١٥] .

وفي الحقيقة فان مؤلفنا الحموي لم يكن وحده الذي استعان بهذين الأستاذين الأندلسيين ، بل استعان بهما أيضاً زميله الحلبي : خليفة بن أبي المحاسن ، في كتابه (الكافي في الكحل)[١١٦] الذي ظهر في الربع الثالث من القرن الثالث عشر .

ومن نافلة القول أن نشير الى أن اعتماد هذين المؤلفين الكبيرين كان بالدرجة الأولى على الكحّالين الكبيرين علي بن عيسى البغدادي[١١٧] وعمار بن علي الموصلي[١١٨] .

وفي الحقيقة فان جراحة العين لم تكن هي وحدها التي أحرزت ذلك التقدم الكبير في هذا العصر ، بل تقدمت الجراحة العامة أيضاً .

ولعل أبرز الوثائق الباقية عن تطور علم الجراحة ، وتقدم فن التأليف فيه هو كتاب (العمدة في صناعة الجراحة)[١١٩] الذي كتبه ابن القف الكركي ، المتوفي عام ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ .

وابن القف أحد تلامذة مدرسة الطب الشامية، رافق الجند في عجلون، واكتسب خبرة كبيرة في مجال الجراحة .

ويكاد كل فصل من فصول (العمدة ..) ينطق بغنى التجربة الشخصية للمؤلف ..

ولم يكن ابن القف الطبيب الوحيد الذي رافق الجيوش ، بل ذكرت لنا كتب المصادر أسماء الأطباء الذين اختارهم أمراء الأيوبيين لمرافقتهم في مختلف المدن السورية .

ولعل خليفة بن أبي المحاسن قد عمل أيضاً في مجال الطب العسكري[١٢٠] .

ثامناً : نظرية الأبصار

حينما أخذ العرب الطب الاغريقي تبنوا أيضاً التقسيم المعتمد لدى الأساتذة اليونان : فالطب في عرفهم ينقسم الى قسمين : العلم والعمل أو النظر والعمل[١٢١] .

أما العلم فهو (العلوم النظرية) أو (كليات الطب) : علم التشريح ، وعلم وظائف الأعضاء ، ونظريات الأمراض الخ .

وأما العمل فهو علم أيضاً ولكنه علم يُعنى بالممارسة الطبية العملية ، أو السريرية ، ويشمل علم الأعراض والتشخيص وعلم الأدوية وفن المداواة الخ .

وعند الكحالين تشتمل (الكليات) على علم تشريح العين وكان يسمى

(خلقة العين) أو (تركيب العين) وعلم وظائف العين وكان يسمى (فعل العين) أو (الأبصار) ٠

وتحت باب (الأبصار) عرَض المؤلفون العرب نظرية الأبصار التي تبناها جالينوس ، فعل ذلك ابن ماسويه[١٢٢] في كتابه (دغل العين) ، وفعل ذلك أيضاً حنين ابن اسحق[١٢٣] في كتابه (العشر مقالات في العين) وهكذا ٠

لكن علي بن عيسى[١٢٤] عرض هذه النظرية باختصار شديد في كتابه (تذكرة الكحّالين) ٠ وابن سينا لم يتطرق الى ذلك في القسم المتعلق بالعين من كتابه (القانون) ، ذلك أن مفكري تلك الحقبة (نهاية القرن العاشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر) اعتبروا أن الاشتغال بنظرية الأبصار هو شأن فلسفي[١٢٥] يُعنى به الفيلسوف أو الطبيب الفيلسوف (الحكيم) ، ولا ينبغي أن يتوسع الطبيب الممارس (المتطبب) في معرفته أو الاهتمام به ٠

وعلى ذلك فان ابن سينا الذي لم يعرض (نظرية الابصار) في (القانون) عرضها في كتابه الفلسفي (الشفاء)[١٢٦] ٠

وبعد ابن سينا صارت (نظرية الأبصار) موضوعاً بعيداً عن اهتمام المؤلفين ، وبخاصة مؤلفي كتب الكحل ٠وقد ظل الأمر على هذه الحال طوال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين (ق ١١ ـ ١٢ م = ق ٥ ـ ٦ هـ)

في مطلع القرن الثالث عشر أشار الحريري في بغداد اشارة سريعة الى نظريات الابصار التي تبناها الأساتذة الاغريق ، وكذلك فعل خليفة بن أبي المحاسن في حلب في الربع الثالث من هذا القرن ، رغم أن خليفة عبّر صراحة عن رأي ابن سينا في أن هذه المسألة ليست من اختصاص الكحال ٠

أما صلاح الدين (يحيى بن أبي الرجاء) ، فقد تمرد على هذا الرأي وخصص في كتابه (نور العيون ٠٠) مقالة كاملة لنظريات الأبصار[١٢٧] ٠

عرض يحيى بن أبي الرجاء (صلاح الدين) نظريات أصحاب الشعاع المختلفة وسمّى من الأساتذة الاغريق هيبارخوس وامبادوقلس وديموقريطس وابيقورس (ابيقور) واقليدس ، وعرض نظرية الانطباع وفصّل في شرح رأي أرسطوطاليس وابن سينا ثم عرض نظرية أفلاطون (نظرية اجتماع الضياء).

ويتضح للقارىء المدقق تأثير صلاح الدين بما سبق أن كتبه فلوطرخس حول هذه النظريات[١٢٨] • وقد أغنى صلاح الدين كتابه بأشكال فيزيائية وضّح فيها نظريات الابصار المختلفة هذه تذكرنا بالأشكال الواردة في كتاب اقليدس (المناظر) وأضاف أشكالاً أخرى الى الموروث اليوناني •

أما ابن النفيس ـ الذي عرض هذه النظريات في كتابه (المهذب •••) ـ فقد آثر أن يشرح نظريته الخاصة •

خصص ابن النفيس في (المهذب ••) عشرة فصول لدراسة (فعل العين) ، فعرض الآراء القديمة وفنّدها ، وبين كيف ينتصر أصحاب هذه النظريات لآرائهم ، وردّ عليهم ، ثم بين رأيه الخاص وشرحه ، وذكر ما يمكن أن يسوقه الآخرون من اعتراضات على نظريته ، ورد على هذه الاعتراضات •

والفرق بين ابن النفيس وصلاح الدين أن صلاح الدين عرض نظريات الآخرين عرضاً حيادياً ، فلم ينتصر لأي منها • أما ابن النفيس فقد عرضها ورفضها ، ووضع نظرية خاصة به •

وهنا يتبين لنا أن هذين الطبيبين كانا من طبقة (الطبيب ـ الفيلسوف)[١٢٩] وليس المتطبب البسيط •

تاسعاً : الموقف من النظريات الطبية

تميزت بعض المؤلفات الطبية العربية باحتوائها على أقسام مفصلة مخصصة للطب النظري ، وأقسام أخرى مكرّسة للطب العملي[١٣٠] •

ولكن بعض الكتب الأخرى لم تخصص أي جزء للطب النظري ، واعتُبرت بمثابة كناشات أو كتب سهلة الحمل غرضها الأساسي أن تكون بمتناول الطبيب دوماً لصغر حجمها ووضوح تبويبها •

ولعل كتاب ابن جزلة[١٣١] (تقويم الأبدان في تدبير الانسان) • هو أحد أهم هذه الكتب التي صدرت في القرن الحادي عشر الميلادي (ق ٥ هـ) •

وليس من السهل ـ في حدود ما وصل اليه البحث العلمي اليوم ـ أن نجيب عن التساؤل التالي :

هل نجد في هذا النوع من الكتب نوعاً من التخلي عن نظريات الطب التقليدية؟ وهل يمكن أن نرى في هذه الكتب شيئاً ينم على أن مؤلفيها ضاقوا ذرعاً بنظريات الطب الموروثة ؟

لكننا نعرف في المقابل ظاهرة أخرى: وهي أن بعض المؤلفين الذين شرحوا المؤلفات المدرسية اتخذوا من هذا (الشرح) وسيلة لمعارضة آراء الأساتذة والرد عليها ونقدها ، وكل ذلك تحت (غطاء) شرح هذه الآراء ·

لذلك فاننا لا نستبعد امكانية العثور على مؤشرات أخرى تدل على معارضة الأطباء العرب لنظريات الطب المدرسية·

ونحن نعرف أن ابن النفيس حينما عارض جالينوس وابن سينا في مسألة (الدوران الرئوي) كان يفعل ذلك تحت ستار شرح القسم المتعلق بتشريح القلب والرئة من كتاب ابن سينا (القانون) ، ولذلك أسمى كتابه (شرح تشريح القانون) ·

ونحن نرى في كتاب القيسي[١٣٢] (نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر) ، ظاهرة من ظواهر التخلي عن واجب عرض (كلّيات الطب) في المؤلفات الموجهة للمارسين ·

والمؤلف في هذا الكتاب يقتصر على عرض الطب السريري ويدقق في مسألة الاعراض والتشخيص ، ويختار ما يراه مناسباً من الأدوية ويتخلى عن الوصفات العلاجية التي لا تعجبه ، ولا يورد من تشريح العين إلا فصلاً مختصراً واضحاً ·

وقد عبر المؤلف صراحة عن دوره الانتقائي الفعّال في اختيار الأدوية التي يدونها في كتابه ، فهي أدوية (صحت تجربتها ، واتضحت معرفتها) ·

وهو يتبع في هذا النهج الطبيب القاهري عمار بن علي الموصلي صاحب (المنتخب في علاج أمراض العين) ·

عاشراً : بعض الأمثلة على المساهمات الأصيلة في اغناء المعرفة

نقتصر هنا على إعطاء مثلين اثنين يسهل فهمهما على غير الأطباء، ونختارهما من حقل طب العيون[١٣٣] ·

فقد حاول ابن النفيس تفسير ظاهرة الشَفَع (وهي رؤية الشيء شيئين)

وربط بين الشفع وشلل إحدى عضلات العين ، وقد عرف كثيرون العلاقة بين (الماء) وبين الغثيان والقيء ، معبرين عن قدرة على ربط الأعراض العينية بالأعراض العامة، وأهم الأعراض العينية هنا هي (أن يبصر المريض وكأنه في ضباب) ، كما أنهم تمكنوا من معالجة هذه الحالة المرضية باعطاء المسهلات •

ومن الواضح هنا أن (الماء) يعني ارتفاع توتر باطن العين في هذه الحالة ، وليس تكدر البلّورة • وعلى ذلك فالماء عند الأطباء العرب قد يكون الساد[١٢٤] وقد يكون الزرق[١٢٥] •

★ ★ ★

الحواشي :

١ ـ اقدم هذه الأبحاث قام بها المستشرق الفرنسي الطبيب الشهير لوسيان لوكلير الذي كتب عام ١٨٧٦ كتابه الهام (الطب العربي) في جزئين • وآخر هذه الدراسات الهامة هي ما كتبه الزميل الأستاذ الدكتور ابن مراد (تونس) بعنوان : (من مظاهر تطور الطب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين) ، (انظر : قائمة المراجع) •
ومن أهم هذه الدراسات تلك التي كتبها الأستاذ الدكتور زهير البابا (دمشق) بعنوان: (المدرسة الطبية الدمشقية في ظل البيمارستان النوري) ، (انظر : المراجع) •

٢ ـ لوكلير اعتمد على ابن أبي أصيبعة بينما استعان آخرون بالمقريزي أو القلقشندي او ابن كثير او ابن العماد أو غيرهم •

٣ ـ مثلا : رحلة ابن جبير •

٤ ـ واهم هذه الكتب :
ـ نتيجة الفكَر : للقيسي • ـ المهذب : لابن النفيس •
ـ الكافي في الكحل : لخليفة • ـ نور العيون : لصلاح الدين • ـ النهاية في الكحل : للحريري •
وهذه كتب في (طب العين) •
ـ انظر عناوين هذه الكتب وأسماء مؤلفيها بشكل مفصل في قائمة (المصادر) •
وثمة كتاب هام آخر :
ـ امتحان الألبّاء ••• للسُلمي ، وهو كتاب مخصص لامتحان الأطباء (انظر : المصادر) •

٥ ـ ينبه الأستاذ ابراهيم بن مراد في مقالته (ص ٩٦) الى القصة التي رواها القفطي (جمال الدين /أبو الحسن/ علي بن يوسف) في كتابه (إخبار العلماء باخبار الحكماء) حول الطبيب الأندلسي أبي الحكم عبدالله بن المظفر المرسي ، الذي مرَّ بدمشق في طريقه من العراق الى الأندلس ، فاعجبه فيها رخاؤها ، فاختار الاقامة فيها ، وذلك بعد عام ١١٢٧ م = ٥٢١ هـ وفيها توفي سنة ١١٥٤ م = ٥٤٩ هـ •
انظر: القفطي ، ص ٤٠٥ (باخراج ليبرت) ، ابن العبري، مختصر ، ص ٢١١ • ابن مراد ، ٩٦ •
وحول هذا الطبيب : انظر اضافة الى هذه المراجع : ابن أبي أصيبعة ٢:١٥٤ •

٦ ـ جاءها اطباء من مختلف المدن طلباً للدراسة أو استقروا فيها : من قلعة جعبر ، ومن حلب وحماه والرحبة والقدس والكرك ، وبعلبك وصور وغيرها •

٧ ـ ومنها طبريا ، حول عمار بن علي :
انظر : نشات الحمارنة (دور العرب في تطور طب العين) الجزء ١ ، ص ١٣٥ ، و (تاريخ اطباء العيون العرب) الجزء ١ ، ص ٦٢ـ٦٤ ، و (مقدمة حول طب العيون العربي) ص ١٦٨ •

٨ ـ مر بها أيضاً : ابن بطلان في طريقه من بغداد ، وعبداللطيف البغدادي في طريق عودته من القاهرة الى بغداد ، وغيرهما كثيرون •
فقد أحصى الأستاذ ابراهيم بن مراد أحد عشر طبيباً استقروا في دمشق جاءوا اليها من العراق أو المغرب أو الأندلس (انظر : ابن مراد ، ص ٩٦ـ٩٧) وذلك استناداً الى ترجماتهم في (عيون الانباء) •

٩ ـ صحيح أن عملية ترجمة الطب من اليونانية أو السريانية الى العربية بدأت في الشام أيام الأمويين ، الا أن الظاهرة لم تتسع وتصبح تياراً حضارياً زاخراً الا في بغداد أيام العباسيين •

١٠ـ حذت بغداد حذو جنديسابور في بناء اقدم مشافيها ، وجعله مركزاً للاستشفاء ومدرسة لتعليم الطب للتلامذة. وللتوسع في موضوع انتقال الطب من الأمم السالفة الى العرب أنظر : مقالة كاتب هذه السطور :
(مقدمة حول طب العيون العربي ـ الكحالة ..) في مجلة التراث العربي ـ دمشق ، العدد ١٧ (١٩٨٤) ، ص ١٦٢ ـ ١٦٦ .
١١ـ مهذب الدين أبو الحسن علي بن عبدالله النقاش المتوفى سنة ١١٧٨ م = ٥٧٤ هـ .
ابن مراد ٩٧ ، ١٠٣ ، البابا ٧٣ ، ابن أبي أصيبعة ١٦٢:٢ـ١٦٣ ★ .
١٢ـ وحينما درس ابن مراد هذا الباب بتعمق تبين له بعض نواحي النقص في كتاب لوكلير فاستدرك ذلك .
أنظر مثلا : ابن مراد ، ص ١٠٩ ، الهامش رقم ٢٣ .
١٣ـ نخص بالذكر الأستاذين : محمد زهير البابا ـ من دمشق، وابراهيم بن مراد ـ من تونس .
وكان كاتب هذه السطور قد تعرض لدراسة هذه الموضوعات في حقل طب العيون، ولخص النتائج في كتاب: (دور العرب في تطور طب العين) الجزء الأول . تطور التعليم الطبي : ص ٢٢ . تطوير الممارسة الطبية والمؤسسات الصحية : ص ٢٣ . التاليف والابداع : ص ١٦ـ٢١ . الاكتشافات العلمية... : ص ٢٥ـ٢٧ .
أنظر كذلك : نشات الحمارنة : (مقدمة حول طب العيون العربي) ص ١٧٠ـ١٧٦ .
١٤ـ في عام ١١٢٨ وحد حلب والموصل ، وفي عام ١١٤٤ حرر الرها .
١٥ـ قتل عمادالدين غدراً عام ١١٤٦ .
١٦ـ ضم حمص عام ١١٤٩ ، ودمشق عام ١١٥٤ ، ومصر عام ١١٧٤ ، وتوفي عام ١١٧٤ (١٥ أيار) .
١٧ـ أعاد صلاح الدين توحيد البلاد فضم الى مصر ودمشق وحلب ١١٨٣ ، والموصل عام ١١٨٦ ، وانتصر في حطين عام ١١٨٧ ، واسترد القدس عام ١١٨٨ (=٥٨٣هـ) .
١٨ـ ابن العماد : شذرات الذهب . ابن جبير : الرحلة .
١٩ـ ابن جبير : الرحلة . ابن أبي أصيبعة : العيون ...
٢٠ـ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء . ابن جبير : الرحلة .
٢١ـ ابن أبي أصيبعة : العيون ... ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ...
٢٢ـ ابن كثير : البداية والنهاية . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة .
٢٣ـ ابن العماد : شذرات ...
٢٤ـ إ. أ. أ. ١٥٥:٢ ، ابن مراد ٩٦ ، البابا ٧٢ .
٢٥ـ ابن مراد : ٩٩ـ١٠٢ ، البابا : ٦٨ـ٨٩ .
٢٦ـ ومنهم :
١ ـ سديد الدين (ابن الرقيقة) في حماه .
٢ ـ سيف الدين الآمدي في حماه .
٣ ـ ابن أبي أصيبعة (مؤرخ الطب الشهير) في صرخد .
ـ سديد الدين محمود بن عمر بن رقيقة . ت ١٢٣٧ م = ٦٣٥ هـ .
ـ سيف الدين علي بن محمد الآمدي . ت ١٢٣٨ م = ٦٣٦ هـ .
ـ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ١٢٧٠ م = ٦٦٨ هـ .
حول هؤلاء أنظر : ابن مراد ٩٨ .
وحول ابن الرقيقة أنظر أيضاً : البابا ٨٨ .
٢٧ـ مهذب الدين أبو الحسن علي بن عبدالله النقاش . ت ١١٧٨ م = ٥٧٤ هـ .
إ أ أ ١٦٢:٢ـ١٦٣ ، ابن مراد : ٩٧ـ١٠٣ ، البابا:٧٣ .
٢٨ـ البابا : ٧٤ ـ ٨٥ .
٢٩ـ ابن مراد : ١٠٤ إ أ أ ١٩١:٢ـ١٩٢ .
٣٠ـ ابن المطران (ت ١١٩١ م = ٥٨٧ هـ) :
(موفق الدين أبو نصر أسعد بن الياس بن جرجس المطران) إ أ أ ١٨١:٢ ، البابا ٧٥ـ٨٨ ، ابن مراد ١٠٦ .
٣١ـ الدخوار (ت ١٢٣٠ م = ٦٢٨ هـ) :
(مهذب الدين عبدالرحيم بن علي الدخوار) إ أ أ ٢٣٤:٢ ، ٢٤٤:٢ ، البابا ٧٧ ، ٨٨ ، ابن مراد ١٠١ ، ١٠٤ .
٣٢ـ الرحبي (ت ١٢٣٣ م = ٦٣١ هـ) :
(أبو الحجاج رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي) ، إ أ أ ١٩٢:٢ـ١٩٥، البابا ٧٥، ٨٨، ابن مراد ٩٧، ١٠٤ .
٣٣ـ حول (المدرسة الدخوارية) راجع : البابا ٧٧ ، ٨٨ ، ابن مراد ١٠١ ، ١٠٤ .
٣٤ـ البابا : ٧٧ـ٨٠ :
اختار الأستاذ البابا هؤلاء الأطباء واعطى نبذة عن كل واحد منهم ، وذلك للتدليل على اهمية تلامذة الأستاذ الدخوار ، وعلى الدور البارز الذي لعبوه في الحياة العلمية والاجتماعية ، وخاصة في ممارسة المهنة الطبية والتدريس .
ففي مصر : اشتهر ابن النفيس ، ورشيد الدين أبو حليقة ، ورشيد الدين أبو سعيد .
ويمكن العودة الى تراجمهم في (عيون الأنباء ...) أو في كتاب لوكلير (الطب العربي) وقد أخذ عن ابن أبي أصيبعة كما بينّا . أما في الشام : فان الحديث عن اطبائها سياتي .

٣٥ـ حول ابن النفيس : أنظر : البابا ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٩ ٠
وكذلك : (وصف الحول عند ابن النفيس) لكاتب هذه المقالة في مجلة تاريخ العلوم العربية ، المجلد ٨ (١٩٨٤) ص ٣ـ٦ ٠
وكذلك : كاتب هذه المقالة في (تاريخ طب العيون في بلاد الشام) ، ص ٢١ـ٢٢ ٠
وكذلك : كاتب هذه المقالة في (المهذب في الكحل) في مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد ٢٠ (١٩٨٥) ، ص ١٤٩ـ١٥٢ ٠
٣٦ـ احمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي المتوفى عام ١٢٧٠ م = ٦٦٨ هـ ٠
أنظر : إ أ أ ٢:١٩٨ ، ٣:٢٢١ـ٢٢٢ ٠
٣٧ـ (أبو زكريا يحيى بن محمد) ت بعد ١٢٦٨ م = ٦٦٦ هـ ٠
البابا ٧٨ ، ابن مراد ٩٨ ، إ أ أ ٢:١٨٥ـ١٨٩ ٠
٣٨ـ ابن قاضي بعلبك : بدرالدين المظفر المتوفى عام ١٢٧١م = ٦٧٠ هـ ، البابا ٧٩ـ٨٥ـ٨٩ ، ابن مراد ١٠٢ ، إ أ أ ٢:٢٥٩ـ٢٦٣ ٠
٣٩ـ عزالدين ٠ أبو اسحق ابراهيم ، المتوفى عام ١٢٩١ م = ٦٩٠ هـ ، البابا ٧٨ـ٨٦ ، ابن مراد ١٠١ـ١٠٦ ، إ أ أ ٢:٢٦٦ـ٢٦٧ ٠
٤٠ـ وهم : ابن المنفاخ ، شمس الدين الكلي ، موفق الدين عبدالسلام ٠
أنظر : البابا ٧٩ ٠
٤١ـ يسمي الأستاذ البابا (ص ٨٠) عدداً من المدارس كانت تقع الى جانب البيمارستان النوري أو بقرب البيمارستان القيمري في الصالحية ٠
وقد فصل الأستاذ ابن مراد في موضوع المدارس الطبية في مقالته التي نشير هنا اليها ٠
ابن مراد ، ص ١٠١ـ١٠٤ ٠
ولم يدع هذان الأستاذان المحترمان مجالا لمستزيد ٠
٤٢ـ البابا ٨٤ـ٨٦ ٠
٤٣ـ البابا ٨٤ ٠
٤٤ـ البابا ٨٥ ، ابن مراد ١٠٠ ، إ أ أ ٢:١٩٢ ٠
٤٥ـ البابا ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ٠
٤٦ـ البابا ٨٥ ، ٨٩ ٠
٤٧ـ البابا ٨٦ ٠
٤٨ـ ابن مراد ٩٧ ـ ٩٨ ٠
٤٩ـ أنظر : ابن مراد ٩٨ ٠
٥٠ـ فخرالدين رضوان ابن الساعاتي المتوفى في النصف الأول من القرن السابع الهجري (= القرن ١٣ م) ٠
إ أ أ ٢:١٨٣ـ١٨٤ ٠
٥١ـ مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامري المتوفى ١٢٢٧م = ٦٢٤ هـ ، أنظر : إ أ أ ٢:٢٣٣ـ٢٣٤ ٠
٥٢ـ أبو الحسن ابن غزال بن أبي سعيد المتوفى ١٢٥٠ م = ٦٤٨ هـ ، أنظر : إ أ أ ٢:٢٣٤ـ٢٣٩ ٠
٥٣ـ نجم الدين أبو زكريا يحيى اللبودي المتوفى بعد ١٢٦٨ م = بعد ٦٦٦ هـ ، أنظر : إ أ أ ٢:١٨٥ـ١٨٩ ٠
٥٤ـ ابن مراد ٩٨ـ٩٩ ٠
٥٥ـ ابن مراد ٩٩ ٠
٥٦ـ شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف الرحبي المتوفى حوالي ١٢٦٨ م = ٦٦٧ هـ ٠ ابن مراد ١٠٢ ، البابا ٨٩ ٠
٥٧ـ بدرالدين المظفر المتوفى عام ١٢٧١ م = ٦٧٠ هـ ٠ ابن مراد ١٠٢ ، البابا ٨٩ ٠
٥٨ـ الدنيسري المتوفى ١٢٨٧م = ٦٨٦هـ ٠ ابن مراد ١٠٢ ٠
٥٩ـ ابن مراد ١٠٤ ٠
٦٠ـ ابن مراد ١٠٤ ، بروكلمان (تاريخ ٠٠٠) الذيل ١:٨٩٤ إ أ أ ٢:١٩١ـ١٩٢ ٠
٦١ـ ابن مراد ١٠٤ ، البابا ٨٨ ، إ أ أ ٢:٢٤٦ـ٢٥٩ ٠
٦٢ـ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللبودي ، ابن مراد ١٠٤ ، إ أ أ ٢:١٨٤ـ١٨٥ ٠
٦٣ـ والدراستان أعطتا الموضوع حقه وبينتا فضل المدرسة الطبية الدمشقية ، ودور بلاد الشام في تطور الطب وأهمية هذا العصر الذي نحن بصدده ٠
والجزء التالي من هذه الدراسة سيتعرض الى المعلومات الحديثة المأخوذة من الدراسة الموضوعية للمحتوى العلمي لكتب التدريس التي ظهرت في هذا العصر ٠
فهذه الدراسة اذن تكمل بحثي الأستاذين الكريمين ٠ وبدون معرفة ما أورده هذان الباحثان لا يمكن أن نعرض نتائج بحثنا ٠ وهذا يفسر حرصي على عرض محتوى هاتين المقالتين القيمتين ٠
٦٤ـ للاستزادة في هذا الموضوع :
أنظر : مقالتنا (مكتبة الكحال في عصر الرازي) ص ١٠ـ١١ ٠
أو : مقالتنا (تاريخ طب العيون في بلاد الشام) ص ٥ـ٨ ٠
٦٥ـ نذكر هنا عشرة ممن كتبوا في طب العين من أهل القرن الثامن الميلادي : ماسرجويه البصري ، ماسرجويه الجنديسابوري ، ثياذوق ، أبو جريج الراهب ، جورجيس ابن جبريل بن بختيشوع ، بختيشوع بن جورجيس ، جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس ، يحيى بن البطريق ، عيسى بن حكم الدمشقي ، جبرائيل كحال المأمون ٠
وعشرة آخرين من أهل القرن التاسع الميلادي (= ق٣هـ) ٠
يوحنا بن ماسويه ـ حنين بن اسحق ـ علي بن ربن الطبري ـ حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي ـ قسطا بن لوقا ـ اسحق بن سليمان الاسرائيلي ـ خلف الطولوني ـ يوحنا بن سرابيون ـ سابور بن سهل ـ عيسى بن ابراهيم بن يحيى ٠

وللتوسع: أنظر: مقالتنا (مكتبةالكحال٠٠) ص١٦ـ١٧ ٠

٦٦ـ اصطلح العرب على تسمية هـذا الفرع من التخصص (طب العين) الكحالة وطبيب العيون هو الكحال ٠
أنظر : مقالتنا (مقـدمـة حـول طب العيـون ٠٠٠) ص ١٥٥ـ١٥٦ ٠ وذلك للتوسع في معنى هذا المصطلح وظروف ظهوره ٠

٦٧ـ وأشهر جراحي هذا القرن هو الزهراوي الذي عاش في الأندلس في نهاية القرن العاشر وتوفي في أوائل القرن الحادي عشر ٠ وكتـابه (التصريف ٠٠٠) يحتـوي على مقالة مخصصة للجراحة تشغل ثلث مادة الكتاب وهي المقالة الثـلاثون (الأخيرة) ، وتعتبـر أهم ما كتب في العصور الوسطى في مادة الجراحة ، وعنها نقل جراحو أوروبـا ٠
ومن أساتذة بغـداد الذين كتبوا في الجراحـة يعقوب الكشكري الذي كتب كتابه بين عامي ٩٢٣ ، ٩٣٢ م ٠
أنظر : نشات الحمارنة (دور العرب ٠٠٠) ص ٢٧ ٠

٦٨ـ وخاصة في كتاب (العمدة) لابنالقف وسنفرد لابن القف فصلا خاصاً فيما بعد ٠

٦٩ـ مثلا في كتاب (الكافي) لخليفة ابن أبي المحاسن ٠

٧٠ـ توفي السلمي عام ١٢٠٧ م = ٦٠٤ هـ ٠
وحول السلمي : أنظر : ابن مراد ١٠٤ ،
إ. أ. أ. ٢:١٩١ـ١٩٢ ، بروكلمان (تاريخ٠٠٠) الذيل ١:٨٩٤ ، لوكلير ٢:٤٦ـ٤٧ ٠

٧١ـ يشير المؤلف الى : الجرائحي في باب ، والمجبـر في باب آخر ، تماماً كما يشير الى الكحال في باب مستقل ، مما يمكن أن يشير الى استقلال هذه الفروع التخصصية عن بعضها البعض ٠

٧٢ـ أنظر : ابن مراد ، ص ١٠٥ـ١٠٨ ٠

٧٣ـ البـــابـــا ٨٨ ، ابـــن مراد ١٠٤ ، ١٠٦ـ١٠٧إإأأ ٢:٢١٦ـ٢١٩ ، وكاتب هذه المقالة في (تاريخ طب العيون في بلاد الشام) ص ٢٤ ٠

٧٤ـ هذان الباحثان هما : مايرهوف وبروفر ، وللتوسع في هذه المسالة يمكن العودة الى الأملية الجامعية التيكتبها مؤلف هذا البحث لطلاب الدراسات العليا (فرع تاريخ العلوم الطبيـة) في معهـد التراث العلمـي العربي في جامعـة حلب ٠

٧٥ـ حول هذا الكتاب : أنظر : مقالتنا (مكتبة الكحال في عصر الرازي) عام ١٩٩١ ، ص ٤٤ ٠
ومن المعروف أن ثمة مخطوطتين من هذا الكتاب : الأولى في بطرسبرغ ، والثانية في القاهرة ٠
وقد عثرنا على مخطوطة ثالثة لم يتعرف عليها أحد من قبل في استانبول ٠

أنظر : نشات الحمارنة (دور العرب٠٠٠) ص ٤١ـ٤٥ ٠

٧٦ـ ابن أبي أصيبعة ١:١٩١ـ١٩٢ ٠
وقد تتلمذ موفقالدين عبدالعزيز بن عبدالجبار السلمي على الياس بن جرجس المطران (والد ابن المطران الأستاذ الشهير) وعمـل في البيمارستان النـوري ، ثم صـار أستاذاً في الطب (٠٠٠ وكان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب) إ أ أ ١:١٩٢ ٠
والمؤلف (موفقالدين عبدالعزيز بن عبدالجبار) هو والد الطبيب الشهير (سعدالدين بن عبـدالعزيز السلمي) الذي توفي ٦٤٤ هـ = ١٢٤٦ م والـذي صـار أيضاً أستاذاً للطب (٠٠٠ وله مجلس عام للمشتغلـين عليه بصناعة الطب) ٠ إأأ ١:١٩٢ ٠
وحول المؤلف أنظر : بروكلمان : (تاريخ الأدب العربي) (GAL) الذيل الجزء ١ ، صفحة ٨٩٤ ٠

٧٧ـ حـول عمـل المحتسب يمكن العودة الى بعض المصادر المتعلقة بنظـام الحسبة :
ومنها :
- ابن الاخوة ـ معالم القربة في أحكام الحسبة ٠
- الشيزري ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ٠

٧٨ـ الكتاب الملكي ، أو (كامل الصناعة الطبية) : لعلي بن العبـاس المجوسي (في جزئـين : العلم ، والعمل) ،
أنظر: نشات الحمارنة (طب العيون العربي٠٠) ص ٢٩ ٠

٧٩ـ القانون في الطب لابن سينا : في خمسة كتب ٠

٨٠ـ ثمة ترجمات لأهم كتب جالينوس الطبية أنجزها كثيرون أهمهم حنـين بن اسحق ٠ وثمـة شـروح على كتب جالينوس أو مختصـرات لهـا كتبها عـدد كبير من الأساتذة أهمهم حنين وثابت بن قره ٠ وثمة اقتباسات مبوبة جمعها الرازي نجدها في ثلاثة مواضع ، أولها : كتبه المتخصصة التي تشكل بمجموعها موسوعة طبية من تاليفـه ، بدأ بكتابتها ولكنه توفي قبـل أن ينتهي مـن اخراجها ٠ وثانيها : (الجامع) الذي اراد له أن يكون موسوعة طبيـة كاملة ٠ وثالثها : (الحاوي) الذي هو مجموعة ضخمة من الاقتباسات من كل الأساتذة القدماء بمن فيهم جالينوس ، وذلك بمثابة بطاقات مبوبـة ، تصلح مرجعاً للتاليف، وعليها اعتمد الرازي في تاليف كتبـه ٠ وقد توفي الرازي وظلت هـذه المجموعة مرتبة ترتيبـاً أوليـاً فاخرجها تلامـذته ٠ أي أن الرازي لم يؤلف الحاوي بل جمعه ، وأعطاه شكله البدائي ٠ أما مسؤوليـة تحرير الكتاب فتقـع على عاتـق تلامذته ٠
وللتوسع : أنظر مقالتنا حول الرازي بمناسبة أسبوع العلم الحادي والثلاثين (١٩٩١) ٠

٨١ـ تتلمذ اسحق بن سليمان الاسرائيلي على اسحق بن عمران ٠

٨٢ـ كتاب الزهراوي (التصريف لمن عجز عن التاليف) ظهر في الأندلس في أواخر القرن العاشر الميلادي وهو موسوعة طبيـة امتازت بموضوعين ، أولهمـا : علوم الأدويـة والعقاقير والصيدلة ٠ والثاني : العلوم الجراحية ٠ أنظـر : نشات الحمارنة (طب العيـون العـربي حتى نهاية ٠٠٠) ص ٣٩ ٠

٨٣ـ كتاب ابن زهر (التيسير في المداواة والتدبير) من أهم كتب الطب السريري العربية ظهر في الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي ٠
ويعتبر هـذا الكتاب بمثابة الجزء الثاني من موسوعة طبية أندلسية ـ وهذا الجزء مخصص للطب العملي ٠ أما الجزء الأول فمن تاليف ابن رشد وهو مخصص للطب النظري ، لذلك سماه مؤلفـه (الكليـات في الطب) ٠ والكليات هنـا بمعنى العلوم الكليـة أو الأساسية ـ النظرية ٠

٨٤ـ ابن القف الكركي (ت ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ) الجراح الشهير ، ومؤلف كتاب (العمدة) ٠

٨٥ـ توفي الرازي ٩٢٥ م = ٣١٣ هـ ، حـــول الرازي : انظر مقالتنا التي أعدت (لأسبوع العلم الحادي والثلاثين / اللاذقية / ١٩٩١) وستظهر أعمال (أسبوع العلم) هذا قريبا عن (المجلس الأعلى للعلوم ـ دمشق) ٠

٨٦ـ للتوسع في هذا الموضوع أنظر مقالة : الدكتورة سحر بحادي عـن أمراض الأطفال عنـد الرازي ٠ ومقالة : الدكتور محسن الخيّر عن الجدري والحصبة عند الرازي في أعمال (أسبوع العلم الحادي والثلاثين) المشار اليه ٠

٨٧ـ ابن الجزار : توفي عام ٩٨٠ م = ٣٦٩ هـ ٠
أنظر : نشات الحمارنة (طب العيون العربي حتى نهاية القرن العاشر الميلادي) ص ٢٧ ٠

٨٨ـ أغلب الظن أن ابن الجـزار هو مؤلف هـذا الكتاب ٠ وليس الرازي كما قال الزميل الكريم الأستاذ الدكتور سلمان قطاية ، الذي حقق الكتاب ونشره ٠

٨٩ـ خصص السلمي في (امتحان الألباء ٠٠٠) :
الباب الأول ـ للنبض ٠ والباب الثـاني ـ للبـول ٠ والباب الثالث ـ للحميات والبحارين ٠

٩٠ـ أشارت سيغريد هونكه في كتابهـا (شمس العرب ٠٠٠) الى هذه المسألة بشيء من التفصيل ٠

٩١ـ أنظر مقالتنا : (وصف الحول عند ابن النفيس) في مجلة: تاريخ العلوم العربيـة ـ حلب ، المجلد ٨ (١٩٨٤) ، ص ٢٣ـ٢٩ ٠

٩٢ـ كتاب جالينوس (في الأدوية المفردة) ، ترجمة حبيش بن الحسن الى العربية ، وثمـة ترجمة قديمة استعملها جابر بن حيان لعلها من وضع يحيى بن البطريق ٠

٩٣ـ وكتاب ديوسقوريدس: هيولي الطب (Materia Medica) نقله حنين بن اسحق من اليونانية الى السريانية، ونقله اصطفن بن باسيل مـن اليونانية الى العربية ، وقد راجع حنـين هذه الترجمة وأجازها ٠ وقـد تمت هذه الترجمة البغدادية في القرن ٩ م (= ق ٣ هـ) قبـل عام ٨٦١ م = ٢٤٧ هـ ٠ وقد أبقت هذه الترجمة على كثير من أسماء النباتات باليونانية لأن اسمها العربي لم يكن معروفاً ٠ أو أنها عربت اسمة يونانيا باسم آخر فارسي معروف في بغـداد ومتداول بـين الأطبـاء ٠ وقد جرت في قرطبة في القرن العاشر م (ق ٤ هـ) مراجعة لهذه الترجمة عربت فيها معظم الأسماء اليونانية باخرى بربريـة أو فسرت بعاميـة الأندلس التي هي لاتينيـة في أصلهـا ٠

٩٤ـ ومن هؤلاء المؤلفين الشرقيين نذكر على سبيل المثال :
١ ـ ابن ماسويه : ت ٨٥٧ م = ٢٣٤ هـ ٠
٢ ـ حنين بن اسحق : ت ٨٧٣ م = ٢٦٠ هـ ٠
٣ ـ علي بن ربن الطبري: ت بعد ٨٥٥م = بعد ٢٤٠هـ ٠ حوالي ٨٦٤م = حوالي ٢٥٠هـ ٠
٤ ـ اسحق بن حنين : ت ٩١٠ م = ٢٩٨ هـ ٠
٥ ـ حبيش بن الحسن : توفي في مطلع القرن العاشر م ٠
٦ ـ محمد بن زكريا الرازي : ت ٩٢٥م = ٣١٣هـ ٠
٧ ـ البالسي : من أهل القرن العاشر م (٤ هـ) ٠
٨ ـ ابن أبي الأشعث: من أهل القرن العاشر م (=٤هـ) ٠
٩ ـ علي بن العباس المجوسي: من أهل القرن العاشر م (= ٤ هـ) ٠
١٠ـ التميمي : ت ٩٨٠ م = ٣٧٠ هـ ٠
١١ـ المسيحي : من أهل القرن العاشر م (= ٤ هـ) ٠
١٢ـ البيروني : ت ١٠٤٨ م = ٤٤٠ هـ ٠
١٣ـ ابن رضوان : ت ١٠٦٨ م = ٤٦٠ هـ ٠
١٤ـ ابن جزلة : ت ١١٠٠ م = ٤٩٣ هـ ٠
١٥ـ أبو الحسن صاعد بن هبة الله: ت ١١٠١م = ٤٩٥هـ ٠

٩٥ـ ألف ابن جلجل (ت بعد ٩٩٤ م = ٣٨٤ هـ) ٠ مقالة في (ذكر الأدوية التي لم يذكرها (ديوسقوريدس في كتابه)٠

٩٦ـ ألف ابن جلجـل (ت بعد ٩٩٤ م = ٣٨٤ هـ) كتاباً في هذا الغرض سماه : (تفسير أسماء الأدوية المفردة) من كتاب ديوسقوريدس) ٠

كما ألف أبو العباس النباتي (ت ١٢٣٩م = ٦٣٧ هـ) كتاباً سماه (شرح أدوية ديوسقوريدس وجالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها) ٠
وأخيراً ألف ابن البيطار (ت ١٢٤٨م = ٦٤٦هـ) كتاباً سماه (تفسير كتاب ديوسقوريدس) ٠

٩٧ـ بدات ظاهرة اضافة الأدوية المفردة التي لم يذكرها ديوسقوريدوس باسحق بن عمران ٠ وبعده جاء ابن جلجل ثم ابن الجزار ٠ وقد سبق أن ذكرنا أن ابن جلجل كتب مقالة يستدرك فيها الأدوية التي أهملها ديوسقوريدوس٠ وكذلك فان البالسي (ق١٠ م = ق٤هـ) ذكر في كتابه (التكميل في الأدوية المفردة) عدداً من الأدوية الهندية التي لم يعرفها الاغريق ٠ وقد استمر هذا التقليد أيام الغافقي والشريف الادريسي ، واستمرت مع أبي العباس النباتي وابن البيطار ٠

٩٨ـ يدعى أبو العباس النباتي أيضاً باسم(ابن الرومية) ٠

٩٩ـ تعتبر المدرسة الأندلسية في علم الأدوية المفردة استمراراً للمدرسة التي ظهرت في القيروان على يد اسحق بن عمران أولا ثم ابن الجزار ثانياً ، هذه المدرسة التي اعتمدت على تقاليد المدرسة البغدادية الشرقية ٠ وعلى ذلك فاننا نستطيع الكلام عن مدرسة مغربية ـ اندلسية ٠ أهم أساتذتها هم :
١ ـ اسحق بن عمران : ت ٨٩٢ م = ٢٧٩ هـ ٠
٢ ـ ابن سمجون : ت في النصف الثاني من القرن ١٠م (= ق ٤ هـ) ٠
٣ ـ ابن الجزار : ت ٩٨٠ م = ٣٦٩ هـ ٠
٤ ـ ابن جلجل : ت بعد ٩٩٤ م = ٣٨٤ هـ ٠
٥ ـ عبدالرحمن بن الهيثم : ت في أواخر القرن ١٠ م (= ق ٤ هـ) ٠
٦ ـ الزهراوي : ت حوالي ١٠١٣ م = ٤٠٤ هـ ٠
٧ ـ مروان بن جناح : ت بعد ١٠٤٠ م
٨ ـ ابن وافد : ت بعد ١٠٦٨ م = ٤٦٠ هـ ٠
٩ ـ أبو عبيد البكري : ت ١٠٩٤ م = ٤٨٧ هـ ٠
١٠ـ محمد بن عبدون : توفي في نهاية القرن ١١ م أو مطلع القرن ١٢ م (ق ٥ـ٦ هـ) ٠
١١ـ ابن بكلارش : عاش في النصف الثاني للقرن ٥ هـ والنصف الأول للقرن ٦ هـ (= ق ١١ـ١٢ م) ٠
١٢ـ أمية بن أبي الصلت : ت ١١٣٤ م = ٥٢٩ هـ ٠
١٣ـ ابن باجّه : ت ١١٣٨ م = ٥٣٣ هـ ٠
١٤ـ الشريف الادريسي : ت ١١٦٥ م = ٥٦٠ هـ أو ١١٦٦ ٠
١٥ـ الغافقي : ت ١١٦٥ م = ٥٦٠ هـ ٠

١٠٠ـ كتب ابن البيطار كتاباً يعارض فيه ابن جزلة في كتابه (منهاج البيان في ما يستعمله الانسان) وقد سمى هذا الكتاب (الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) ٠ وهذا تقليد عريق في المدرسة الأندلسية في الأدوية ٠ فابن الهيثم (عبدالرحمن بن الهيثم ـ من أهل القرن ١٠ م) كتب كتاباً سماه (الاقتصار والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد) ينتقد فيه ما ورد في كتاب (الاعتماد) الشهير ٠ والغافقي نقد كثيرين في مقدمة كتابه (الأدوية المفردة) ٠
وأبو العباس النباتي نقد الغافقي في كتاب خاص سماه (التنبيه على أغلاط الغافقي) ٠

١٠١ـ ظهر هذا الكتاب بعد عام ١٢٤٢ م (= ٦٤٠ هـ) وتوفي المؤلف عام ١٢٤٨ م (= ٦٤٦ هـ) ويمتاز هذا الكتاب بضخامة حجمه اذ جمع فيه المؤلف كمية ضخمة من المقتبسات التي اختارها بعناية ٠

١٠٢ـ توفي ابن السويدي في دمشق عام ١٢٩٢ م (= ٦٩٠ هـ)

١٠٣ـ يعود الفضل في جعل كتاب (الأدوية المفردة) معجماً ثنائي اللغة الى ابن جلجل ، الذي كان أول مؤلف عربي يورد أسماء النباتات الطبية باللغتين اليونانية والعربية بشكل منهجي ٠ وفي هذا سبق هام في عالم الأدوية ، كما أنه فتح جديد في التاليف المعجمي العلمي ٠ وكتاب ابن جلجل هو (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس) ٠ أما ظهور الأسماء العديدة للنبات الواحد (المترادفات) فهو تقليد يعود الى أيام ابن الجزار في كتابه (الاعتماد) ٠
وأما الاهتمام بالجانب اللغوي الاصطلاحي في كتب الأدوية فقد جاء في مرحلة متاخرة ، على يد الادريسي والغافقي (ونحن لا نعرف من منهما كان سباقاً الى تاليف كتابه) ٠ فقد كتب الادريسي (الجامع لصفات أشتات النبات) بينما كتب الغافقي (الأدوية المفردة) وقد توفيا في العام نفسه ١١٦٥ م = ٥٦٠ هـ ٠
وهكذا فقد صار لكتاب الأدوية اهمية في عالم اللغويين٠

١٠٤ـ كتب ابن البيطار هذا الكتاب في زمن يقع بين عامي ١٢٣٨ـ١٢٤٠ م (= ٦٣٥ هـ ـ ٦٣٧ هـ) ٠ وهذا يعني أنه كتبه بعد كتابيه : (تفسير كتاب ديوسقوريدس) الذي ظهر بعد عام ١٢٢٤ م وقبل عام ١٢٣٦ م و (الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) الذي ظهر بعد ظهور (تفسير ٠٠٠) فكتاب (المغني٠٠٠) اذن هو ثالث كتب ابن البيطار الهامة من حيث زمن ظهوره ٠ وهذا يعني أن (المغني٠٠٠) ظهر قبل ظهور

(الجامـع ٠٠٠) ٠ وتحمل احدى مخطوطات هذا الكتاب اسم (المغني في فن الطب) ٠

١٠٥ـ وهو أسلوب قـديـم ومعروف يبـدأ بامراض الرأس (الجملة العصبيـة المركزية) ثم أمراض فروة الرأس، فامراض العين فالاذن فالأنف فالأسنان وهكذا ٠٠٠

١٠٦ـ وليس الأدوية المركبـة ٠

١٠٧ـ بعض مخطوطات هـذا الكتاب تحمل عنوان : (التذكرة المفيدة والذخيرة الحميدة) ٠

١٠٨ـ لا يوجد احصاء دقيق لهذه المقتبسات الا أنه قيل انها أخذت من حوالي ٤٠٠ كتاب ٠

١٠٩ـ توفي ابن السويدي عام ١٢٩٢ (= ٦٩٠هـ) وقام الامام الشعراني (المتوفى عام ١٥٦٥ م = ٩٧٣ هـ) باختصار التـذكرة ٠
وكان بدرالدين القوصوني (المتوفى بعد عام ١٥٢٥ م = ٩٣١ هـ) قد اختصرها من قبل ولكنه توفي قبل ان ينجز عمله هذا ، فقام ابن غانم المقدسي (المتوفى عام ١٥٩٦ م = ١٠٠٤ هـ) باتمام هذا العمل وفرغ منه عام ١٥٥٥ م = ٩٦٣ هـ وكذلك قـام مؤلف مجهول باختصار تذكرة ابن السويدي في زمـن لا نعرفه على وجه الدقة ٠

فتذكرة ابن السويدي اذن شغلت الناس حتى نهـاية القرن السادس عشر الميلادي على الاقل، أي ان صداها ظل يتردد ثلاثة قرون ٠

١١٠ـ ابن بطلان : (من اهل القرن ١١ م = ق ٥ هـ) ٠ في كتـابه (تقويم الصحة) حيث يعـدد في جداول واضحة الأدوية المختلفة المستعملة لعلاج الأمراض ٠ ويبوب هذه الأمراض حسب الأعضاء الآلة ٠

١١١ـ ابن جزلة في كتابه (تقويم الأبدان ٠٠٠) وهو كتاب تاثر مؤلفه فيه كثيراً بكتاب ابن بطلان فاعتمد أسلوب الجداول ٠
أنظر : نشات الحمارنة ـ المخطوطات العربيـة في طب العيون ٠ اصدار خاص من مجلة الكحال ـ دمشق١٩٨٠ ص ٣٢ـ٣٥ ٠

١١٢ـ ويسمى الكتاب أيضاً : (نهاية الأفكار ونزهة الأبصار) وقد بقي من هذا الكتاب ثلاث نسخ كاملة :
الأولى في المتحف العراقي في بغـداد حققها الزميلان مصطفى شريف العاني وحازم البكري وظناها فريدة ٠
والنسختان الثانية والثالثة كان لنا شرف اكتشافهما : واحدة في طهران والأخرى في استانبول ٠ ونسخة طهران منحولة لابن النفيس ، أما نسخة استانبول فلم يتعرف علماء استانبول على مؤلفها: (ششن وزميلاه علىسبيل المثال) وقد وجدنا الجزء الاخير من هذا الكتاب (الذي هـو اقراباذين الكتاب) في مخطوط مستقل في دبلن ، وأعلنا عن ذلك ، ثم كتبت عنه الزميلة هيا الدوسري٠ وانا مدين للزميل عبدالحسين حائري ـ طهران ، الذي أهداني صورة عن مخطوط طهران من هذا الكتاب ٠

١١٣ـ اول من قال عن المؤلف أنه (صلاح‌الدين بن يوسف) هو لوكلـير ، اعتماداً على مخطوطة الكتـاب الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ٠ وعن لوكلير اخذ هيرشبرغ (عام ١٩٠٥) هذا الاسم ٠ أما التدقيق في قراءة خطبة الكتاب فانه يؤكـد ان المؤلف نفسه كتب اسمه على الشكل التالي : (يحيى بن أبي الرجاء) ٠ وقد رجعنا الى مخطوطات الكتـاب المعروفة في الاسكندرية وغوتا وباريس ثم اكتشفنا نسختين جديدتـين : واحـدة في استانبول والأخرى في دبلن ٠ للتوسع في معرفة المزيد عن هذا الكتاب انظر : كاتب هذه السطور في (تاريخ طب العيون ٠٠٠) ص ٢٩ ٠

١١٤ـ انظر نشات الحمارنة (دور العرب٠٠٠) ص١٢٦ـ١٣٣، وكذلك نشات الحمارنة (طب‌العيون‌العربي٠٠) ص٣٩٠

١١٥ـ ذكر يحيى بن أبي الرجاء (صلاح‌الدين ٠٠٠) في مقدمة كتابه أيضاً اعتماده على ابن زهر ٠

١١٦ـ حول خليفة انظر: نشات‌الحمارنة (تاريخ‌طب‌العيون٠٠) ص ٢٦ـ٢٧ ٠ وحـول (الكافي ٠٠) نشات الحمارنة : (الكافي في الكحل٠٠) في مجلة التراث العربي، العدد٢٩ ص ١٢٦ـ١٥٩ ٠

١١٧ـ علي بن عيسى الكحال البغدادي : عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر ، وظهر كتابه (تذكرة الكحالين) حوالي عام ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م ٠
وهذا الكتاب هو قانون أطباء العيون العرب ٠ أنظر : نشات الحمارنة (مقدمـة ٠٠٠) ص ١٦٩ ٠ وكذلك (تاريخ أطباء العيون ٠٠٠) الجزء ١ ، ص ٦٠ـ٦٤ ٠

١١٨ـ عمار بن علي الموصلي كتب (المنتخب في علاج امراض العين) في نفس الوقت الذي كتب فيه علي بن عيسى كتابه ، أنظر : نشات الحمارنة (دور العرب) ص١٣٥، نشات الحمارنة (مقدمة) ص ١٦٨ وكذلك (تاريخ أطباء العيون) الجزء ١ ، ص ٦٢ـ٦٤ ٠

١١٩ـ ظهر هذا الكتاب محققاً بفضل دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن ، الهند ، ولعل أهم ما كتب عن ابن القف هو ما كتبه الأستاذ سامي خلف حمارنة الذي حقق بعض كتبه أيضاً • أنظر: سامي حمارنة (فهرس مخطوطات الظاهرية (١٩٦٩) •

١٢٠ـ ترد في كتابه عبارات يمكن أن تشير الى كثرة تنقله : (••في الحلوالترحال••) ، (•• فيالغربةوالتوطن••) •

١٢١ـ انظر : نشات الحمارنة : دور العرب في تطور طب العين ـ الجزء ١ ـ علي بن العباس ، ص ٣٤ ـ الزهراوي ، ص ٣٦ •

١٢٢ـ أنظر : نشات الحمارنة (تاريخ أطباء العيون العرب) الجزء ١ ـ ص ٤٤ـ٤٨ •

١٢٣ـ المرجع السابق ـ ص ٥٣ـ٥٦ •

١٢٤ـ المرجع السابق ـ ص ٦٠ـ٦٤ •

١٢٥ـ اعتبرت (نظرية الأبصار) جزءاً من (العلوم الطبيعية)، فهي اذن من اختصاص (الفلسفة) • أنظر : نشات الحمارنة (دور العرب•••) ص ١٩ •

١٢٦ـ أنظر : نشات الحمارنة (المهذب••) ص ١٥١ ، وكتاب الشفاء يتكون من عدة أجزاء : الالهيات ، الطبيعيات، الرياضيات •• الخ والطبيعيات في الشفاء مقسمة الى عدة أقسام (فنون) منها :
السماء والعالم ، الكون والفساد ، المعادن والآثار العلوية ، النفس•• الخ • والنفس هو الفن السادس من طبيعيات الشفاء • ويتكون كتاب (النفس) من خمس مقالات ، المقالة الثالثة منها (في الأبصار) •
وكتاب الشفاء محقق : حققه الأب قنواتي وسعيد زايد، وراجعه ابراهيممدكور عام ١٩٧٥ • وكان يان باكوش قد نشره محققاً عام ١٩٥٦ •

١٢٧ـ أنظر: نشات الحمارنة (تاريخ طب العيون••) ص٢٩ •

١٢٨ـ أنظر : ترجمة عبدالرحمن بدوي (في الآراء الطبيعية التي يقبل بها الفلاسفة) •

١٢٩ـ يعتقد الأستاذ الدكتور البير زكي اسكندر أن ابن النفيس يمثل شخصية (الطبيب ـ الفقيه) وذلك اعتماداً على مجمل نشاطه ومؤلفاته • ولا يسعنا هنا الا أن نتوقف عند هذا الراي الذي يخيل الينا أنه بحاجة الى تدقيق • فابن النفيس في شرحه للدورة الدموية الصغرى ، وفي عرضه لنظريات الأبصار ومناقشته لأصحابها والرد عليهم ، وفي كتابه (فاضل ابن ناطق) يبدو فيلسوفاً من درجة رفيعة ، وهو أيضاً فقيه • وقد قام ابن النفيس بتدريس الفقه في المدرسة المسرورية في القاهرة • أما عرض يحيى بن أبي الرجاء (صلاحالدين) لنظريات الأبصار فيدل أيضاً على أنه طبيب ـ فيلسوف ، وليس مجرد كحال بسيط ممارس•

١٣٠ـ وأهم هذه الكتب : قانون ابن سينا • وكامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس ، وقد سبقت الاشارة اليهما• وقد كان كل منهما بمثابة موسوعة طبية شاملة • أي ان الكتاب كان يحوي بين دفتيه المعرفة الطبية اللازمة •

١٣١ـ توفي ابن جزلة عام ١١٠٠ م = ٤٩٣ هـ •

١٣٢ـ القيسي : فتحالدين احمد بن عثمان ويسمى أيضاً ابن أبي الحوافر وهو ابن الطبيب الذي سبق الحديث عنه• جمالالدين عثمان بن هبةالله القيسي المتوفى عام ١١٩٧ م = ٥٩٥ هـ • وقد كان الأب رئيساً للأطباء في مصر ، بينما عمل الابن في مصر والشام • وقد ظهر كتاب (نتيجة الفكر ••) بين عامي ١٢٤٠ ، ١٢٤٩ م (= ٦٣٧ ـ ٦٤٧ هـ) • أنظر : نشات الحمارنة : (تاريخ طب العيون في بلاد الشام) ص ٢٤ـ٢٥ •

١٣٣ـ للتوسع في هذا الموضوع • أنظر : نشات الحمارنة : (مقدمة حول طب العيون العربي) ، ص ١٧٤ـ١٧٥ •

١٣٤ـ تكثفالبلورة أو تكدرها أو نقصانشفوفها Cataract .

١٣٥ـ الزرق : Glaucoma ارتفاع توتر باطن العين •

★ ★ ★

أولاً ـ المراجع :

محمد زهير البابا :
المدرسة الطبية الدمشقية في ظل البيمارستان النوري •
في مجلة : المناضل ـ دمشق ـ العدد (١٢٦) عام ١٩٧٩ (تشرين الأول) الصفحات : (٦٩ـ٨٩) •
وكان المؤلف قد القى هذا البحث على شكل محاضرة في حفل أقيم بمناسبة تحويل مبنى البيمارستان النوري الى متحف للطب والعلوم ، وذلك في دمشق بتاريخ ٧٨/١١/٢١ •

ابراهيم بن مراد :
من مظاهر تطور الطب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين •
في مجلة : التراث العربي ـ دمشق ـ العدد (١٩) عام ١٩٨٥ ، الصفحات ٩٥ـ١١٠ •
وكان المؤلف قد القى هذا البحث على شكل محاضرة في دمشق ـ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٤ •
فيندوة: السمات الانسانية للعلم والعمل في بلاد الشام•

نشات الحمارنة :
تاريخ أطباء العيون العرب ـ الجزء ١ ـ ط ٢ ـ دمشق ١٩٨٥ (٨٠ صفحة) •

نشـات الحمـارنـة :
تاريخ طب العيون في بلاد الشام ، ص ١ـ٣٤ ٠
في كتاب بعنوان : رواد طب العيون في سورية ، أصدره الدكتـور سمير أنطـاكي ـ دار الذاكـرة ـ حمص ١٩٩٣ (٣١٦ صفحة) ٠
نشـات الحمـارنـة :
دور العرب في تطور طب العيون ـ الجزء ١ ٠
اصدار خاص مـن مجلة الكحال ـ دمشق ١٩٨٥ (المجلد الثالث ـ لعدد الثالث) ، (١٦٨ صفحة) ٠
نشـات الحمـارنـة :
طب العيـون العربي حتى نهـاية القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ـ اصدار خاص من مجلة الكحال ـ دمشق ١٩٨٤ (المجلد الثـاني ـ العدد الثـاني) ، (٧٢ صفحة) ٠
نشـات الحمـارنـة :
الكـافي في الكحـل لخليفـة بن أبي المحاسن الحلبي ٠
في مجلة : التراث العربي ـ دمشق ـ العدد (٢٩) تشرين الأول ١٩٨٧ ـ ص (١٢٦ـ١٥٩) ٠
نشـات الحمـارنـة :
المخطوطات العربية في طب العيون ـ اصدار خاص مـن مجلة الكحال ـ دمشق ١٩٨٠ ـ (المجلد الأول ـ العدد الثاني)، (٦٤ صفحة) ٠
نشـات الحمـارنـة :
مقدمة حول طب العيون العربي (الكحالة) ٠
في مجلة : التراث العربي ـ دمشق ـ العدد (١٧) تشرين الأول ١٩٨٤ ، ص (١٥٣ـ١٨٥) ٠
نشـات الحمـارنـة :
مكتبة الكحال في عصر الرازي ـ المجلس الأعلى للعلوم ـ دمشق ١٩٩١ ٠
بمناسبة أسبوع العلم الحادي والثلاثون في جامعة تشرين ـ اللاذقية ١٩٩١ ، (٦٤ صفحة) ٠
نشـات الحمـارنـة :
المهذب في الكحل لابن النفيس ٠
في مجلة : التراث العربي ـ دمشـق ـ العـدد (٢٠) ـ تموز ١٩٨٥ ـ ص (١٤٤ـ١٧١) ٠
نشـات الحمـارنـة :
وصف الحول عند ابن النفيس ٠
في مجلة : تاريخ العلوم العربية ـ حلب ـ المجلد (٨) ١٩٨٤ ، ص (٣ـ٥٧) ٠

ثانيـاً ـ المصادر المطبوعـة :

ابن أبي أصيبعـة :
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ تحقيق : أوغست مولر، القاهرة ١٨٨٢ م (١٢٩٩ هـ) جزءان ٠
ابـن العبـري :
غريغوريوس، أبو الفرج بن أهرون، تاريخ مختصر الدول، تحقيـق : الأب أنطـون صالحاني اليسوعي ـ ط ٢ ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥٨ ٠
القفطـي :
إخبار العلماء بأخبار الحكماء ٠
باعتنـاء : ليبـرت ـ لايبـزغ ١٩٠٣ ٠

ثالثـاً ـ المصادر المخطوطـة :

ابـن الأكفـاني :
شمس الدين محمد بن ابراهيم الأنصـاري السخاوي ٠
كشف الرين في أحوال العين ٠ مخطوط القاهرة (الأزهر)٠
(وثمة نسخ أخرى عديدة بعضها في القاهرة ـ دار الكتب) ٠
أشرنا الى هذا الكتاب هكذا : (الكشف٠٠٠ لابن الأكفاني) ٠
الحـريـري :
عبدالله بن قاسم الحريري الاشبيلي ـ نهـاية الأفكـار ونزهة الأبصار (النهاية في الكحل) ٠
ـ مخطوط بغـداد ـ المتحف العراقي ٠ (وثمـة نسختان مطخوطتان كاملتان : واحدة في طهران ، والأخرى في استانبول، وهناك نسخة ثالثة ناقصة في دبلـن) ٠ (والكتاب مطبوع في مجلدين ، بتحقيق : مصطفى شريف العاني وحازم البكري ـ بغداد ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠) ٠
أشرنا الى هذا الكتاب هكذا : (النهاية ٠٠٠/للحريري)٠
خليفـة :
خليفـة بن أبي المحاسن الحلبي ـ الكافي في الكحـل ٠
ـ مخطوط استانبول (بني جامع) ، (وهناك نسخة أخرى من الكتاب في باريس) ٠ (الكتاب مطبوع : بتحقيق الزميـلين : محمد ظافر الوفائي ، ومحمد رواس قلعجي) ٠
أشرنا الى هـذا الكتاب هكذا (الكافي ٠٠٠/لخليفة) ٠
السـلمي :
موفـق الدين عبدالعزيز بن عبـدالجبـار السـلمي ٠
امتحان الألبـاء لكافة الأطبـاء ٠ مخطوط فينـا (مطبوع) ٠
أشرنا الى هذا الكتاب هكذا (امتحان ٠٠٠/السلمي) ٠
صـلاح الديـن :
صلاح الدين بن يوسف (يحيى بن أبي الرجاء) ٠
نور العيون وجامع الفنون ٠ مخطوط استانبول (حميدية) (وثمة مخطوطات أخرى مـن هذا الكتاب في باريس ، دبلن ، غوتا ، الاسكندرية) ٠ الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور محمد ظـافر الوفـائي ، الأسـتاذ الدكتـور محمد رواس قلعجي (الرياض ١٩٨٧) ٠
أشرنا الى هذا الكتاب هكذا (نورالعيون٠٠/لصلاح الدين)٠
الصـوري :
رشيد الدين، الكافي في طب العين، مخطوط دمشق (الظاهرية)٠
القيسي :
أبو العباس ٠ فتح الدين ٠ احمد بن عثمان ٠
نتيجة الفكـر في علاج أمراض البصر ٠ مخطوط غوتا ٠
(وثمـة نسخ عديدة مخطوطة مـن الكتـاب : بعضها في استانبول ، ودبلن ، ودمشق) ٠ (والكتاب مترجم الى الألمانية في أطروحة جامعية) ٠
أشرنا الى هذا الكتاب هكذا : (النتيجة ٠٠٠/للقيسي) ٠
ابـن النفيس :
علاء الدين أبو العـلاء علي بن أبي الحـزم القرشي ٠
المهذب في الكحل ٠ مخطوط دمشق (الظاهرية) ٠
(وثمة نسخ أخرى في برلين واستانبول والقاهرة والفاتيكان)٠
(الكتاب مطبوع بتحقيق الزميلين: محمد ظافر الوفائي ، ومحمد رواس قلعجي) ٠
أشرنا الى هذا الكتاب هكذا: المهذب٠٠٠/لابن النفيس)٠